

# حاملة المصباح

تأليف : ريجونولد بركلاي  
ترجمة : صالح زكي  
مراجعة : علي فرسي  
تقديم : دريني غنبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي  
المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



## مقدمة

الموضوع الذى اختاره ريجونولد بركلى لهذه المسرحية هو من الموضوعات التى لها صلة وثيقة بتاريخنا .. وبالأحرى بتاريخ الشرق الأدنى الذى كان يشله فى الآونة التى جرت فيها وقائع المسرحية الرجل المريض .. أو تركيا .. أو الصيد الثمين الذى كانت الدول الكبرى تقف له بالمرصاد .. يود كل منها أن يفوز منه بوجبة شهية .. فهذه روسيا لم تكن تكف عن مناوآته بمختلف الحجج .. حتى استطاعت آخر الأمر أن تتفق معه على فرض حمايتها على مسيحيى الجزء الأوروبى من الدولة العثمانية ، وأن تجعل استقلال هذه الدولة بتلك الحماية حبرا على ورق .. ولم تكن انجلترا وفرنسا تجهلان أن الأمر لم يكن يقف بروسيا عند هذا الحد .. بل كاتتا تعلمان أن الروس يريدون امتلاك البوغازين الخالدين : البوسفور والدردنيل ، لكى تنفذ الى البحر الأبيض ومنه الى بحار العالم المفتوحة كلها .. وتكون فى ذلك الطامة الكبرى على أطماع بريطانيا العظمى فى السيطرة على مصر .. طريقها الى الهند

واستراليا وأملاكها شرقي أفريقيا .. ومن ثمة انفقت هي وفرنسا على التدخل .. وشدتا على يد السلطان التركي ، تعاونهما جزيرة سردينيا التي كان يطمع كاثورها المشهور في معونة الدولتين لضمان استقلال جزيرته .. وفي الثامن والعشرين من مارس سنة ١٨٥٤ أعلنت الدولتان الحرب على روسيا بحجة تأييد تركيا في موقفها ، ثم انضمت سردينيا الي الحلفاء سنة ١٨٥٥ .. ولما طالت الحرب دون أن تسفر عن فائدة جدية رأت انجلترا وفرنسا نقل المعركة الى شبه جزيرة القرم تهديدا للأرض الروسية نفسها .. وحوصرت سياستبول حصارا طويلا داميا .. وأخذ الجرحى من الجنود البريطانيين يتدفقون على مستشفيات التمريض في أسكدار ( سكوتارى ) على الشاطئء الأسيوى للبوسفور أمام الآستانة .. وكانت المستشفيات في حالة من الفوضى وقلة العناية أثارت الرأى العام البريطانى .. وكان رئيس الحكومة البريطانية في عهد الملكة فكتوريا في ذلك الوقت هو لورد پلمرستون المشهور والذي كان يعارض مشروع قناة السويس .. والذي كان يحافظ على الرجل المريض محافظة شديدة حتى يرثه هو ، ولا ترثه روسيا . واتهى حصار سياستبول بسقوط قلعة ملكوف الحصينة في أيدي الجيوش المتحالفة .. ومن بينها قوة رمزية من الجنود

المصريين الذين خفوا المناصرة السلطان التركي في هذه الحرب ..  
وسقوط قلعة ملكوف انكشفت مواقع الروس وأصبحوا  
مهديين بكارثة فطلبوا المفاوضة وانتهت الأزمة بصلح باريس  
المنعقد في مارس سنة ١٨٥٦ ، والذي تخلت روسيا بموجبه  
عن جميع دعاواها ؛ وأعلن حياد منطقة البحر الأسود وحرية  
الملاحة في نهر الدانوب والبواغيز وضمان استقلال تركيا .

وقد تحمل جنود الحلفاء في هذه الحرب من البلبايا  
والضحايا والمجاعة وسوء أحوال الامدادات الحربية والطبية  
والتموينية وقلة الملابس والأغطية الشيء الكثير الذي  
لا يصدق .. وكان الجنود البريطانيون هم الذين قاسوا من  
ذلك كله أشقى نصيب وأوفاه .. ولهذا كانت التهم تكال كيلا  
لوزارة الحرب البريطانية مما دفع الأنسة فلورنس نيتجيل  
الى القيام برسالتها النبيلة في النهوض بأعباء التمريض قريبا  
من ميدان حرب القرم هذه .. فاعتزمت أول الأمر أن تذهب  
لأداء مهمتها الانسانية متطوعة وبعيدا عن الدائرة الرسمية  
العفنة التي كانت مثالا فذا للاهمال والتقصير وعدم الشعور  
بالمسئولية نحو الجنود الجرحى والمرضى المعذبين ، والتي كانت  
الشكليات والرسميات تضاعف فسادها أضعافا مضاعفة مما كانت  
نتيجته وفاة عدد كبير جدا من هؤلاء الجرحى والمرضى نييف على عدد

المقتولين في معارك القرم المريرة .. وكان القليل من العناية بهم يكاد ينقذهم جميعا من الموت لو وجدوا من يعنى بهم ويضمد جراحهم .. ولم تكد فلورنس تعلن عما اعتزمته من ذلك حتى ثارت أمها وحتى ثار أبوها ، بل ثار ضدها كل من حولها .. اذ كيف تذهب فتاة عذراء جميلة صارخة الجمال مثلها لتعيش بين جنود في ميعة الشباب محرومين من كل اتصال جنسى بحجة تضديد جراح الجرحى والعناية بشئون المرضى في بلاد سحيقة مثل تركيا ، وفي غير رعاية من أولى الأمر في الجيش الانجليزي .. وذلك في زمن اتسم فيه الحكم الفكتورى بالترمت وشدة الحفاظ ومراعاة التقاليد الجامدة التي فرضتها مسز جراندى التي كانت تمثل الجمود والرجعية المتثلجة على المجتمع الفكتورى المستمسك بأهداب الآداب القديمة والسلوك القويم السليم .. ولا سيما من ناحية الفتاة الانجليزية والسيدات الانجليزيات وربات الأسر بصفة خاصة ؟

وكانت الأنسة فلورنس نيتجيل في ذلك الوقت في الثامنة والعشرين من عمرها .. أى أنها كانت في زهرة العمر وميعة الشباب .. وكان شبان كثيرون يحاولون استمالتها بالفزل البرىء بقصد الزواج منها ، الا أنها كانت تصدهم وتعزف عنهم حتى استطاع حبيب جديد يسمى هنرى تريمان أن

يستميلها ويشغل جانبا غير قليل من تفكيرها .. الا أنه حينما  
فاتحها في موضوع الزواج لم يجد الا ما كانت تجيب به أمثاله  
من قبل « من أنها غير خالية .. لقد جاءها صوت من  
جانب السماء يدعوها الى ما دعا السيد المسيح المخلص  
من قبل .. ان الصوت الهاتف المنادى يدعوها الى  
مهمة أعظم .. انه يدعوها .. بل ينتدبها :: لاقاذا الانسانية  
المعذبة في الشرق ، حيث يموت الجرحى ويقضى المرضى من  
بنى جلدتها الانجليز ، دون أن يعنى بهم أحد ، أو يفكر فيهم  
أحد ، أو يواسيهم مواس .. » وقد آمنت فلورنس بهذا  
الصوت ، وها هي ذى تستعد للاضطلاع بالرسالة الانسانية  
العظيمة .. وكلما جادلها أبوها أو حاججتها أمها أو ذكرها أحد  
بالمسز جراندى وتقاليده العهد الثكتورى وآدابه وسننه الجامدة  
ذكرتهم هي بأن في فرنسا جمعية من الراهبات الفتيات تسمى  
نفسها « جمعية أخوات الاحسان أو : Les Filles de la  
Charité » أنشأها القديس سنت قنستنت ده پول سنة ١٦٣٣  
وشملها البابا برعايته سنة ١٦٥٥ تقوم بالذى استعدت  
فلورنس أن تقوم به وأن أحدا في الدنيا كلها لم يوجه  
تهمة واحدة الى فتيات تلك الجمعية أو أخذ عليها ما يشين  
سمعتها ، وأنه قد آن الأوان لأن تقوم في انجلترا البروتستنتية

ويسرع الشفاء على أجنحة الأمل والرجاء الى كل مريض ..  
ومن هنا أطلق عليها أبناءؤها وأحبائها المرضى : « ذات المصباح »  
أو « السيدة ذات المصباح » .. أو « حاملة المصباح » كما  
سماها الأستاذ المترجم .

وفي ليلة قارسة البرد ، تخرج فلورنس للقاء قافلة من  
الجرحى القادمين من ميدان المعركة .. فاذا هي تستقبل ..  
من ؟ .. انها تستقبل حبها الأول والأخير .. تريماين .. هنرى  
تريماين .. الذى اعترفت له بحبها اياه وهما فى انجلترا ..  
واعترضت له عن عدم الموافقة على ابرام عقدة الزواج .. بسبب  
ما تعهدت به للسماء من تلبية الهاتف الذى دعاها للقيام بمهمتها ..  
ومن ثمة فالحب كله للسماء .. لله .. للواجب .. « ولنسى  
يا هنرى لبانات أنفسنا الى جين .. » ونسى هنرى لبانات  
نفسه .. لكنه لم يستطع البعد عن فلورنس .. فتطوع فى  
الجيوش .. وسافر الى الشرق .. وذهبوا به الى القرم .. وجرح  
تحت أسوار سياستبول .. وحمل من هناك الى أسكودار ..  
لتلقاه حبيبة القلب ومنية النفس .. وليموت بين يديها بعد  
قليل .. وبعد أن بكت واستجدت بالسماء أن تنقذه لها ..  
ولكن السماء تفعل ما تريد ..

وتسلم فلورنس أمرها الى الله الذى أرسل اليها صوته

من قبل .. فتصل مهمتها وتستمر في ترميز الجرحى حتى تنتهى الحرب .. وتعود الى أرض الوطن ، وتكون آخر من يغادر أسكودار في يوليو سنة ١٨٥٦ .. وحينما تصل الى انجلترا تهب الصحافة وتهب الأمة كلها لتمجيدها والاشادة بذكورها ، وتمنحها الدولة مبلغ خمسين ألفا من الجنيهات اعترافا بفضلها وحميد جهادها ، لكن فلورنس التي لم تطمع في دنيا قط تشيء بهذا المبلغ أول دار لتدريب القتيات الانجليزيات على التمريض في المستشفيات بأنواعها .. ولا تزال هذه الدار تحمل اسمها .. وفي سنة ١٨٥٨ تظهر مذكراتها في التمريض والعناية بشئون المرضى على أحدث الأساليب العلمية والانسانية الحديثة .. كما يظهر تقريرها عن أعمال الادارة الطبية للجيش الانجليزى في حرب القرم فيكون انجيلا للإصلاح ونشر الوعى الانسانى والعناية بمرضى المستشفيات فى العالم كله .. بل يكون الصرخة المدوية التى تهز ضمير الانسانية فتظهر فى انجلترا تلك الدعوة العالمية الرامية الى انشاء جمعية الصليب الأحمر للعناية بشئون الجرحى والمرضى والمصابين فى الحروب والجائحات التى تتعرض لها الانسانية فى أى مكان وزمان .. وذلك على أساس انسانى بحت ، وبصرف النظر عن الاعتبارات القومية .. فهيات الصليب

الأحمر لها الحق في طلب الهدنة المؤقتة التي تكفي لنقل الجرحى والمصابين من أرض المعركة دون أن تفرق بين خصم وخصم ودون أن توجه عنايتها الى فريق من المتحاربين دون فريق .. وهي توالى مجهوداتها أيضا في أيام السلم فتبذل للناس أيا كانوا معوتتها ، وتتلقى المعونة من الناس أيا كانوا ، والفضل في انشائها راجع كما ذكرنا الى مجهودات فلورنس نيتنجيل — بطة هذه المسرحية.. وقد اجتمع في جنيف سنة ١٨٦٣ مؤتمر دولي حضره مندوبون من معظم دول الأرض انتهى فيه المؤتمرون الى تقرير المبادئ التي تؤلف دستور الصليب الأحمر ، ذلك الدستور الذي لم يلبث أن أصبح دستورا ، كله أو جله ، لجمعيات الاسعاف والهلال الأحمر ( في الدول الاسلامية ) .

وقد طالت حياة فلورنس نيتنجيل حتى كادت تبلغ من العمر أرذله .. وتوفيت سنة ١٩١٠ .. بعد أن كسبت صداقة الانسانية كلها ، وبعد أن منحتها الملكة فكتوريا صداقتها في خطاب قالت لها فيه انها يشرفها أن تكسب معرفة أعظم امرأة تعيش على وجه الأرض .. وهي أعظم امرأة لأنها أدت للانسانية أعظم الخدمات .. ولم تفرق بين أبيض أو أسود أو أحمر أو أصفر .. « وأنا أتبه فخرا بأن هذه المرأة العظيمة انجليزية »

ثم أهدت إليها الملكة — تعبيرا عن رضائها السامى — بروشا  
ثميناً وضع تضميمه الأمير ألبرت زوج الملكة فيكتوريا ، فجعل  
له حلية من صليب سنت جورج من الميناء الحمراء ، وطفراء  
ملكية تحيط بها ماسات غوال ، ومن حول الجميع نقشت  
آية الانجيل الكريمة :

« مباركون هم الرحماء »

وفى ربيع سنة ١٩٥٧ تنشئ الدولة وسام الاستحقاق ،  
ويمنحه الملك لفلورنس فى حفلة خاطفة .. وتكون هى أول  
من يمنحه .. ويحضر الحفلة عدد من الرجال الرسميين لا يجد  
أكثرهم ما يقولونه لتلك الأنسة العجوز التى بلغت قمة مجدها  
قبل أن يولدوا .. بل يبدو على كبير الياوران كثير من الضيق  
بها وبالحفلة ، ويأمر بالاسراع فى كل شىء ، لأن لديه مواعيد  
أخرى أهم .. مواعيد أهم بكثير من الاحتفال بتلك المرأة ..  
ان لديه موعدا للعشاء فى قصر الملك وامبراطور الهند .. يسبقه  
موعد آخر فى القصر الملكى أيضا ..

ويؤتى بالآنسة فلورنس نيتنجيل على عربة مرضى .. انها  
الآن عجوز شمطاء .. فى السابعة والثمانين من عمرها .. وقد  
أصبحت الآن روحا بلا جسد .. وبلا ذهن أيضا .. انها لا تذكر قليلا  
ولا كثيرا من ماضيها الحافل .. وهى لا تدرى لماذا جاءوا بها

الى هذا المكان .. ولماذا يجتمع الناس هناك هذا الاجتماع  
الرسمى المتكلف .. واذا أخبرتها مرضتها أن الاجتماع من  
أجلها ، ولكى يقدم اليها الوزير وسام الاستحقاق المجيد  
مندوبا عن الملك .. زاغت العينان الجميلتان ، ورأتا بنظرات  
تخترق سد الزمن وتنفذان عبر السنين كأنما تبحثان عن ماض  
لا تعرفانه ولا تعترفان به .. ولا تملك فلورنس إلا أن تبسم  
وتقول من باب المجاملة .. « هذا شىء جميل .. هذا عطف  
بالغ ! » .

\* \* \*

وبعد .. فهذا هو التاريخ القريب الذى اختار منه الكاتب  
المسرحى ريچينولد بركلى ( ١٨٩٠ — ١٩٣٥ ) تلك الصفحة  
اللامعة لينقل منها مسرحيته التاريخية هذه .. والمسرحية  
التاريخية فن قديم عرفه اليونان فى القرن الخامس قبل  
الميلاد .. وتآلق فيه نجم اسخيلوس حينما عرض مسرحيته :  
الفرس ، التى خلب فيها ألباب الجماهير باظهاره روح دارا ،  
كسرى فارس ، تتبأ وتصف الكارثة التى يتعرض لها جيش  
ولده اجزرسيس ( أخثرشا ) فى مياه اليونان وفوق أرضها ..  
وينعى على هذا الولد طيشه وتهوره وقلة بصره .. مما سوف  
يودى بأرواح الألوف من أبناء فارس .. وتمضى المأساة حتى

تبلغ نهايتها .. محصورة في فترة قصيرة من الزمن .. حاملة  
في تضاعيف عرضها الدرس الثمين ، والعظة البالغة للطفلة  
والتاتحين الذين لا هم لهم الا الغزو والتوسع وسفك الدماء ..  
وهو درس خال من تلك الصبغة التعليمية أو الخطب التي  
يقحمها كثيرون من مؤلفي المسرحيات التاريخية على هامش  
الموضوع .. ان أسخيلوس يعرض تلك الصفحة من تاريخ  
بلاده عرضا فنيا لطيفا لاتحس خلاله مطلقا بأنه انما يريد أن يعطيك  
درسا أو أن يلقي عليك عظة .. وهو في هذا كان يقلد أستاذه  
فرينيخوس في مأساته : « الفينيقيون » عما يشبه الموضوع  
نفسه ..

وقد كان التاريخ دائما موردا عذبا للمسرحيات التاريخية  
historical ، وبالأحرى للمسرحيات الاخبارية Chronicle  
التي لا تخوض في صميم التاريخ نفسه بقدر ما تدور حول  
حادث أو خبر من أخبار التاريخ أو حول شخصية تاريخية  
تركت في أحداث عصرها أثرا عاما أو عادت على أهل جيلها  
بفائدة عامة ، وبهذا تكون قد أثرت في أحوال المجتمع نفسه  
أكثر مما أثرت في مجريات المعارك الحربية .

وقد لا نخفيء اذا لاحظنا أن معظم المسرحيات الكلاسية  
والرومسية هي من هذا النوع ، واذا جاز أن نستثنى منها شيئا

فانما نستثنى المسرحيات المستمدة من عالم الأساطير والخرافة  
وأن انتسبت من بعيد أو قريب الى التاريخ .. ومن هنا  
ما يشترطه الكلاسيون والرومنسيون من وجود الجو الملكي  
والبيئة والشخصيات الأرستقراطية في جميع مسرحيات  
المذهيين ..

وبهذا تدخل معظم مسرحيات اسخيلوس وسوفوكلس  
ويوريسيدز ، ومسرحيات غيرهم ممن لم تصلنا الا نبذ قصيرة  
من روائعهم ، في حيز المسرحيات التاريخية ، وبالأحرى ، في  
حيز المسرحيات الاخبارية التي تجرى على هامش التاريخ  
أكثر مما تدخل في صميم التاريخ ولبابه ..

وقد عادت المسرحية التاريخية أو الاخبارية الى سالف  
مجدها في عصر اليزابث ولا سيما على يد مارلو الذي تألق  
في مآسيه : تيمورلنك وادوارد الثاني ومأساة ديدو .. وغيرها  
من مآسيه المشهورة التي تأتي على هامش الأحداث  
والشخصيات التاريخية .. وقد كان مارلو بالرغم من رومنيته  
يجرى على سنن الكلاسيين في اتباع الأسلوب الشعري الفخم  
وتوفير أسباب الجمال الفني لمآسيه .. وعدم الخوض في  
التفصيلات التاريخية المملة التي ربما ذهبت بخصيصة التركيز  
المسرحي المنشود .. وهذا هو ما ورثه عنه معاصره وتلميذه

الخالد وليم شيكسبير .. وما جرى عليه معظم شعراء عصر  
اليزابث المسرحيين .. بل هو ما فعله شعراء الكلاسية الحديثة  
في فرنسا في القرن السابع عشر ، وهو ما كان يفعله كتاب  
المسرح الأسباني في عصره الذهبي ، والذين كانت مسرحياتهم  
جديرة بالخلود لولا تلك البطولة الكاذبة التي كانوا يرفنون  
بها أبطالهم .. بل هو ما كان يتبعه الكتاب الألمان الذين كانوا  
يأخذون بأطراف من المذهبين الكلاسي والرومنسي في مآسيهم  
الاخبارية ..

ثم ظهرت في العصر الحديث مسرحيات التراجم ..  
أو المسرحيات التي يترجم فيها المؤلفون لحياة شخصيات  
تاريخية بارزة .. وقد كان بطل هذا اللون الجديد هو الكاتب  
الشاعر الانجليزي المشهور جون درنكووتر ( ١٨٨٢-١٩٣٧ )  
مؤلف مسرحية أبراهام لنكولن المشهورة ( ١٩١٩ ) ومسرحية  
ماري ستيوارت ( ١٩٢٢ ) وأوليثر كرومويل وروبرت لى  
( وكتاهما من إنتاجه في سنة ١٩٢٣ ) .. وقد بدأ هذه السلسلة  
من مسرحيات التراجم بعد أن كتب سلسلة لطيفة من المسرحيات  
الشعرية .

ونحن حين نقول ان جون درنكووتر كان بطل هذا اللون  
لا نغفل ما كتبه جورج برنرد شو عن قيصر وناپوليون

والقديسة چوان وتلميذ الشيطان الخ .. الا أننا لا ننسى أن  
شو كان يكتب ليسخر من التاريخ ومن رجال التاريخ ،  
ولم يكن يصور حقبة تاريخية أو شخصية تاريخية تصويراً  
واقعياً .. ومن ثمة كانت مسرحياته التاريخية أقرب الى الملاحى ..  
بل كانت ملاحى ذهنية بالفعل .. منها الى أى شىء آخر ..  
أما چون درنكووتر فقد جمع فى مسرحياته التاريخية الاخبارية  
بين أسلوبى مسرحيات التراجم والمسرحيات الذهنية  
أو مسرحيات الأفكار ، وبذلك تسمى فوق المذهبين الواقعى  
والطبيعى .. أى أنه لم يصور الواقع كما كان .. وربأً بمسرحه  
عن المذهب الطبيعى التثوغرافى فلم يكن مجرد آلة تسجل  
الحوادث الهابطة ويتعمد الجرى وراءها تعمداً .. لقد كان  
ينشد مثلاً علياً يبشر بها ويدعو اليها .. ولكن فى غير بعد عن  
الفن أو اغراق فى الأسلوب التعليمى المكشوف الذى يضطر  
الكاتب الفقير الى الحاسة الفنية الى الوعظ والخطب  
السمجة .. لقد صور لنا فى مسرحيته أبراهام لنكولن ذلك  
الجهاد الروحى الأسمى فى سبيل الحصول على الحرية حتى  
لو سلك الانسان فى سبيلها تلك الوسيلة الكريهة .. وسيلة  
الحرب والمعارك الدامية .. ان الحرب فى نظر لنكولن ليست  
شيئاً كريها تعافه النفوس الأبية اذا لم يكن منها بد للتحرسر

وارغام المتغترسين على احترام خصومهم .. ومن ثمة وجب علينا أن نخوضها بحزم وعزم وصلابة ولكن في غير لدد ولا بدافع الشهوة للانتقام .. ولا يصح أن يكون هدفنا من الحرب هو سحق العدو والقضاء عليه ما دمنا قد انتصرنا .. بل يجب أن يكون هدفنا هو خلق مبادئ جديدة ومفاهيم أخلاقية وانسانية جديدة تتولد في نفوسنا من صلصلة الصراع وجيشان النفوس الراغبة في الحرية ..

ودرنكووتر في مسرحيته أوليفر كرومويل وروبرت لى يستغل الأحداث التاريخية في عرض مشكلات لا تزال تهم المجتمع .. أما في « ماري ستيوارت » فيعرض لنا دراسة أكثر اتصالا بالمجتمع حيثما كان وفي أى عصر كان .. انه يدرس روح المرأة .. المرأة التي لا تجد في رجال الدنيا كلها رجلا واحدا تجتمع فيه المثل العليا التي تهواها وتشغف بها .. وتلك هي ماري ستيوارت ملكة سكتلندة البائسة التي كانت تتعشق في كل من محبيها الثلاثة مثلا أعلى لا يتوفر الا في أحدهم دون صاحبيه .. لقد كانت تتعشق القوة والجمال والعاطفة .. القوة في الأول وليس فيه الجمال ولا العاطفة ، والجمال في الثاني وليس فيه القوة ولا العاطفة ، والعاطفة في الثالث وليس فيه القوة ولا الجمال .. ولم يكن في هيامها

باحدى هذه الخلال فى واحد من الثلاثة خيانة للخبيين  
الآخرين .. لأنها حينما تكون مع أحدهم لم تكن تذكر فيه  
الا ما يتميز به من خلقه وخصيسته .. وهكذا يكون عينها  
هو أن مثلها الأعلى أوسع من أن يجتمع فى رجل واحد من أهل  
الدينا جميعا .. وهكذا أيضا نجد درنكووتر ينفى على هذه  
المسرحية جوا خارقا للطبيعة قل أن نجد له مثلا فى مسرحية  
من المسرحيات .. الا فى مسرحيتنا هذه : « ذات المصباح » .

\* \* \*

وقد تحدث أستاذنا أأرديس نيكول فى كتابه « الدراما  
البريطانية » عن بيركلى ريجينولد مؤلف هذه المسرحية فوضعه  
ووضع مسرحيته — بل مسرحياته كلها — فى الفصل الذى  
خصصه للكلام عن المذهب التعبيرى .. ذلك المذهب الذى  
أشرنا اليه فى مقدمتنا لمسرحية « الأم » كما عرضنا له عرضا  
غير قصير فى كتاب « أشهر المذاهب المسرحية » .. والذى نوجز  
القول فيه هنا فنذكر أن من أهم مبادئه :

١ — استبطان النفس الانسانية .. أى تعمق أغوارها  
والكشف عما يضطرب به العقل الباطن من خفايا وأسرار  
وتجارب .

٢ — ويكون ذلك بايقاع هذه النفس فى أزمة روحية

لا ينفك الكاتب يزيدا حدة وشدة حتى تتجرد النفس آخر الأمر مما تتغلف به من حجب وأستار ، وحتى تبدو لنا في النهاية .. نهاية المسرحية .. روحا عارية لا يسترها أى شىء مما كانت تتشبث به من عادات أو احتفال بالآداب والتقاليد أو ما كانت تدعيه من شجاعة أو جرأة أو استمساك بوجهة من وجهات النظر .

٣ — ويستعين الكاتب على هذا باللغة العادية والأسلوب الدارج الذى لا يعرف الصنعة أو التكلف .. بل الأسلوب الخاطف الذى يعطيك المعاني مجملة وشبه ناقصة فى أكثر الأحيان .. لأن المذهب التعبيرى يؤثر الأيحاء والرمز ولا يعرف الاطناب والافاضة .

٤ — ويستعين أيضا بالخرافات الشعبية التى يقدسها السواد .. لأن هذه الخرافات لها سلطانها القاهر على نفوس العامة ، وهى التى تؤلب العقل الباطن وتثير الضمير العامى فلا يعرف له فكاكا منها .

٥ — وإذا كان العقل الباطن هو مستودع التجارب ومأوى الخرافات فلا بد من الاستعانة بالأجواء التى تثير هذه الخرافات وتستجيش التجارب القديمة .. ولتوفير هذا الجو يحسن حشد مناظر المسرحية بالأركان المعتمدة وبالأشباح

والزواحف والأصوات التي تثير الرعب في القلوب كدق الطبول  
الرتيب وطلقات الرصاص من بعيد والموسيقى الوحشية .

٦ — ويحسن ، بل يجب ، أن يقتصر الكاتب على بطل  
أو بطلة واحدة للمرحية ، على أن تكون الشخصيات الأخرى  
كلها أشبه بعوامل أو أضواء مساعدة تتجه كلها الى الشخصية  
الرئيسية القائمة بالبطولة ، تزيدها وضوحا وتيسر كشف  
ما في ضميرها من خبايا وخفايا .

٧ — واستعمال النجوى Soliloquy من مميزات  
المرحية التعبيرية .. وذلك لأن الانسان حينما يناجى نفسه  
وهو منفرد ينفذ كل ما تنطوى عليه تلك النفس من أسرار ..  
ويكون في هذا اعتراف تلك النفس بحقائق الموقف الذي  
تعانيه والأزمة التي تكابدها .. وبهذا الاعتراف تنكشف  
النفس وتعري الروح ، ويتجرد البطل أو البطلة من الأغلفة  
والحجب المصطنعة التي فرضها المجتمع علينا جميعا .

٨ — ولما كان غرض المرحية التعبيرية هو تجريد النفس  
على هذا النحو ، كان لا بد من اغفال المذهب الواقعي اغفالا  
يكاد يكون تاما في الاخراج وفي الالتقاء وفي التمثيل .. فيكون  
الاجراج حافلا بما ذكرنا من مناظر غريبة شاحبة ومن أشباح  
وأرواح ومساقط ضوئية في مواقع بعينها من المنظر ، ويكون

الانقاء أشبه بالذى يتكلم وهو نائم فهو لا يملك زمام الكلمات ويكون التمثيل أشبه بحركات المدعور المخمور الذى ذهب بنفسه المخاوف .. ولهذا قد يستعين المخرج بالأقنعة التى تستر واقع الأوجه ، أو المكياج الذى يخفى معالم الوجوه الحقيقية المألوفة .

٩ — ويحسن ألا تتألف المسرحية التعبيرية من فصول كبيرة .. بل أخرى أن تتألف من مناظر قصيرة متتابعة يسرع أحدها فى اثر الآخر .. والسبب فى هذا أننا نصور دخيلة النفس الانسانية وغرائب ما يجيش فى العقل الباطن .. والعقل الباطن كما وصفه علماء النفس مخزن مهوش غير منتظم لتجارب متناقضة .. منها ما هو حلو .. وما أقل هذا الحلو — ومنه ما هو مر مفزع مخيف .. وما أكثر هذا المر المفزع المخيف .. ثم انه يندر أن يثبت شىء من هذه التجارب على حال ، الا كما تثبت السحابة تدفع بها الريح فتغيرها وتبدلها أشكالا وألوانا حتى تأتى بسحابة غيرها تحل محلها لتصنع بها ما صنعت بالسحابة السابقة وكما سوف تصنع بالسحابة التالية .. هكذا حتى تنتهى الرواية .. والتى تنتهى كأنما هى حلم .. ان لم تكن بالفعل كابوسا مفزعا .

هذا وان كان من المستحسن أن يكون المشهد الأون

مشهدا واقعيًا صرفًا .. لأنه مشهد البداية من عالمنا الواقعي إلى عالم ما وراء الواقع .

\* \* \*

ونكتفى بهذا القدر من معالم المذهب التعبيري لتساءل :  
إلى أي حد تنطبق هذه المعالم — كلها أو جلها — على مسرحية  
« ذات المصباح » ؟

إن المسرحية هي من مسرحيات التراجم الإخبارية البديعة  
بلا شك ، فنحن نلقى مس فلورنس فيتنجيل في الفصل الأول ،  
بل في المشهد الأول من هذا الفصل وهي في الثامنة والعشرين  
من عمرها .. ثم تركها في المشهد الأخير من الفصل الأخير  
وهي في السابعة والثمانين من عمرها .. نلقاها في أول المسرحية  
وهي فتاة يانعة متفتحة كورود الربيع ثم تركها في آخرها وهي  
لم تعد تعلم من بعد علم شيئًا .. وبعد أن يكون الكاتب  
قد ترجم لحياتها كلها ترجمة بديعة وافية حتى لم يكده يغفل  
من دقائق هذه الحياة كلها شيئًا .

والمسرحية في أربعة فصول كل منها في مشهدين ، أي أنها  
كجميع المسرحيات التعبيرية تثب بنا في مشاهد كثيرة قد تطول  
وقد تقصر ، إلا أنها مع ذلك مشاهد كسحب الصيف لا تلبث  
أن تقشع .. والمسرحية التي يطول زمن فعلها حتى يبلغ ستين

عاما لا يملك كاتبها الا أن يشب عبر الستين وثبا .. ووثبا  
خاطفا .. ففى المشهد الأول تكون فلورنس فى السابعة  
أو الثامنة والعشرين من عمرها .

وفى المشهد الأول من الفصل الثانى نراها وهى فى الرابعة  
والثلاثين .

وفى المشهد الأول من الفصل الثالث تكون قد بلغت  
الحادية والأربعين .

وفى المشهد الأول من الفصل الرابع تكون فى السادسة  
والأربعين بعد ربع قرن من وفاة سدنى :

ثم يقفز بنا المؤلف سبعة وثلاثين عاما بين المشهد الأول  
من الفصل الرابع والمشهد الثانى من هذا الفصل نفسه فترى  
فلورنس نيتنجيل وقد بلغت من العمر ثلاثة وثمانين عاما  
كاملة .

وهكذا تستوعب المسرحية الستين عاما كلها من عمر  
فلورنس التى ولدت سنة ١٨٢٠ وتوفيت سنة ١٩١٠ ..  
ولم يفيت الكاتب أن يعطينا ملخص الأحداث التى ملأت  
السنين السبع والعشرين الأولى من حياة بطلة المسرحية فى ثنايا  
أحاديث الشخصيات الأخرى .

ولهذه الغرابة فى اتساع زمن الفعل فى هذه المسرحية

لا نرى بدا من تقديم ملخص سريع لأحداثها ، ومن خلال الملخص يستطيع القارئ أن يلاحظ وجود عناصر كثيرة من معالم المذهب التعبيري

\* \* \*

انا في المشهد الأول من الفصل الأول من فصول هذه المسرحية الفريدة نكون في حديقة منزل وليم نيتنجيل — والد فلورنس — وهو عين من أعيان الريف الانجليزي ووجه من وجهائه .. رجل أرستقراطي له صلة بالوزراء والبارزين من رجالات المجتمع .. ويكون معنا في تلك الجلسة لورد پلمرستون — وزير خارجية انجلترا في تلك الآونة .. ثم مستر وليم نيتنجيل نفسه .. ثم زوجته مسز نيتنجيل التي تكبره سنا .. والتي كانت تتلهى بالرغم من الحديث الدائر ببعض أشغال الابرة .. ثم يكون معنا أيضا هذا الرجل الشهير سدنى هربرت عضو البرلمان الانجليزي الذي أصبح فيما بعد وزير حرب بريطانيا العظمى .. والذي كان شديد الايمان بفلورنس نيتنجيل ورسالتها العظيمة .. ومن ثمة لهم يكن يدخر وسعا في مناصرتها . ويدور الحديث حول كتاب : « الماضي والحاضر » الذي كان يحمله لورد پلمرستون وهو من مؤلفات الكاتب الأستلندي المعاصر توماس كارليل الذي كان يشغل الرأي

العام الانجليزي في ذلك العهد ، ويهزه بأرائه الظريفة هذا  
عنيفا .. وكان يلمرستون يصف أقواله بأن معظمها هراء في  
هراء .. الا أن منها ما هو جدير بالاعجاب لما فيه من تفكير  
عميق .. ولا سيما تلك التي كان يدعو فيها كل انسان الى أن  
يكون له عمله .. عمله الدائب المثمر .. وتسخر مسز نيتنجيل  
وتصف دعوة كارليل بالسخف .. لأن الفقراء وحدهم هم  
الملزومون بأن يعملوا لكي يعيشوا ( ! ) وهنا يتدخل هربرت  
سدنى ليقرر أن على كل انسان أن يعمل عملا مفيدا للانسانية  
في مجموعها بصرف النظر عن أن يكون عمله وسيلة لكسب  
العيش أو لم يكن .

ومن هذه اللمسات الحوارية الخاطفة نفهم عقلية كل من  
المتحدثين .

ويتضح أن الكتاب ملك لبطة المسرحية مس فلورنس  
نيتنجيل .. ويسخط هذا أمها مسز نيتنجيل .. لأن الأفكار التي  
تحملها أمثال هذه الكتب هي التي تتلف أخلاق الشباب وتسمم  
عقول الصغار .. وكان يجب على الحكومة منع تداولها .

ثم تدخل على الجماعة فتاة جميلة في العشرين من عمرها ..  
فاذا هي زوجة هربرت سدنى .. أو اليزابث .. التي تقوم في  
المسرحية بدور هام .. لأنها الطرف المقابل لمس فلورنس ..

والتي تقف على الضد منها في كل شيء .. في آرائها وسلوكها  
في الحياة .. ونظراتها الى المثل العليا التي تعتقها فلورنس ..  
تلك المثل التي تفزع منها اليزابث .. تفزع منها على نفسها  
وعلى زوجها سدني الذي يؤمن بها وبصاحبته فلورنس ايماننا  
عميقا متأصلا .. انها المثل والمبادئ التي كان يؤمن بها  
مستر نيتجيل والد فلورنس ، ويشر بها من قبل .. والظاهر  
أنه أورثها ابنته .. ولسوف يورثها جميع أحفاده وذرائه ..  
ان والدة فلورنس تصف ابنتها فتقول :

« ان هذه الفتاة .. فلورنس أعجوبة العجائب ! انها فتاة  
يشغف بها نصف رجال لندن .. ويتمنى كل منهم أن تكون  
له زوجة .. لكنها تشيخ عنهم .. لأنها تريد أن تعمل وتكدح ..  
انها لا تريد أن تكون دوقة .. ولا تريد أن تشتغل بالسياسة ..  
ولا أن تكون فنانة .. ولا عازفة بيانو .. انها تريد أن تلتحق  
بمستشفى سلسبرى لتكون ممرضة عادية ! .. فهل رأيت ؟  
ممرضة عادية تعيش بين الممرضات المخمورات .. وسط فوضى  
المستشفيات والفساد الذي يضرب بأطنابه فيها ! .. » .

ويتهج لورد پلمرستون ويقول ان فلورنس خير من يصلح  
هذه الفوضى ويقضى على أسبابها اذا عملت فيها .. أما سدني  
فيكاد يرقص طربا ويصف فلورنس بأنها قديسة وتكاد

والدة فلورنس أن تجن لتحسس سدنى لابنتها وتشجيعه اياها  
للمضى فى هذا الطريق !

ثم يدخل على الجماعة شباب وسيم فيه رجولة وحيوية  
ومن ورائه فتاتان يانعتان .. أما الشاب فهو هنرى تريمائين  
H. Tremayne .. فى الثانية والثلاثين من عمره وقد ملك  
عليه حب فلورنس زمام قلبه .. وأصبح زواجه منها حلمه  
الذى يداعب خياله .. وأما الفتاتان فهما فلورنس بطلة المسرحية  
وهذه الفتاة سلىنا بريس بردج التى صحبتها فلورنس — كما  
تقول أمها — لتدراً بها عن نفسها مغازلات تريمائين .. ذلك  
الشباب الخجول المؤدب المهذب الذى حاولت والدة فلورنس  
أن تهيب له الفرص ليخلو بابنتها وليعرض عليها يده .. ولكن  
فلورنس كانت تفهم .. وكانت تحبط خطط أمها .. لأنها  
لا تريد أن تتزوج .. بل تريد شيئاً آخر أسمى فى نظرها من  
الزواج ..

وتسألها عما اذا كانت قد استمتعت بنزحتها فى الغابة ؟  
ولكن فلورنس تقول انها لم تكن فى الغابة .. بل كانت .. فى  
المستشفى .. تعنى بمرضها وتسهر على راحتهم .

وتكاد مسز نيتنجيل أن يجن جنونها .. لأن خطتها

لم تتم .. ولم تلق فلورنس خطيبها تريماين لانشغالها عنه  
بجراح المرضى ونفائات المصدورين .

ولكن والد فلورنس يبتهج .. ويؤمن بأن ابنته قد ثققت  
مثله على وجهها !

وتطلب اليزابت — الصورة العكسية لفلورنس — من  
فلورنس نيتنجيل أن تسمح لها ولزوجها هيربرت سدنى بالذهاب  
معها لزيارة مرضاها بالمستشفى .. لأن هيربرت يفكر فى انشاء  
دار للنقاها يقيم بها المرضى من مستأجرى أملاكه .. وذلك  
على قطعة من الأرض قريبة من البحر .. ويريد الاطلاع على  
الأحوال فى المستشفيات قبل انشاء تلك الدار .. وتبتهج  
فلورنس وتعد بالذهاب معهما .. لكن والدتها تسألها عما  
أعدت لتريماين المسكين .. خطيبها المنتظر — الذى أفسدت  
شهيته بالحديث عن المستشفيات والمصدورين ؟

وتروغ فلورنس من أمها ومن تريماين كما يروغ الثعلب ..  
حتى اذا خلا المكان بفلورنس ولورد پلمرستون انتهزت  
فلورنس فرصتها وراحت تطلب النصيحة من أكبر ساسة  
بريطانيا .. ماذا تعمل .. وما الميدان الذى يخلق بالمرأة أن تعمل  
فيه ؟ .. حتى اذا ذكرت ما تحلم به من العمل فى ميدان التمريض

استحسن لها ذلك .. لأن التمريض هو أحسن الأعمال للمرأة ..  
ولكن :

« بشرط أن تعدى نفسك له ولا تكتفى بالتحس دون استعداد .. وإذا واتتك الفرصة فاعتنمها .. وقد عرضت على مناصب يسيل لها لعاب الأساطين من الناس .. لكنى كنت أرفضها .. كما رفضت منصب حاكم الهند .. لأننى لم أكن مستعدا لولاية تلك المناصب .. وفضلت العمل بالبرلمان حتى ثقفت أعمال الحكومة جميعا وأصبحت حجة فيها جميعا .. وصرت مستعدا لولاية أسمى المناصب فلم أتردد .. » .

وتقضى عليه فلورنس قصة حياتها وعملها بالتمريض فى إيطاليا وفى مستشفيات أخوات الاحسان بباريس ومصحات الأديرة بألمانيا .. وكيف استطاع أحد القسس انشاء دار للتمريض تضم مئات الأسرة .. غير عابىء بما وجهه اليه الثرثارون والمشققون من ألوان النقد .. ولولا ايمانه بجدوى مشروعه لتخاذل عنه وانصرف عنه ..

ويستوثق بلمرستون من حسن عزيمة فلورنس وقوة تصميمها .. لكنه يرى أن يستوثق أيضا مما اذا كان هذا التصميم يعتمد على ذخيرة روحية يدفعها دافع من وحي Vision أو الهام سماوى .. أو رؤيا من تلك الرؤى الصادقة

التي تصلنا بعالم الروح .. فاذا هي تجيبه في استحياء ..  
وفي خوف من أنه قد لا يصدقها :

« منذ عشر سنوات .. وبينما أنا في هذه الشرفة .. وفي  
ظلام الليل الدامس .. اذا بي أراها تتغير فجأة .. وتصبح شيئاً  
واسعاً شاسعاً .. واذا بالنور ينبثق من جميع النوافذ .. ولذا  
فوج من الناس يتزاحمون على الأبواب في هرج ومرج .. وهم  
يحملون أشياء أشبه بالحشايا والمراتب .. واذا بينهم شخص  
يمشى وفي يده مصباح .. ثم اذا بي أشعر أنني صاحبة هذا  
المصباح .. وأن المكان الذي له تلك الصورة مكان بعيد  
سحيق .. وأنه مستشفى كبير .. كبير .. ثم اذا أنا أسمع  
صوتاً ينبعث من أعوار نفسي .. واذا الصوت يناديني :  
استعدى ! .. ولما أخبرت والدي .. خلا الى والدي .. وظنا  
أننى مريضة أو مختلة .. فأعطيني دواء .. لكننى لم يساورنى  
الشك في أنه الوحي .. النداء .. النداء السماوى الذى جاء  
ليلقى على كاهلى عبئاً ثقيلاً .. عبئاً لا يقوى عليه غيره .. » .  
ويؤمن لورد پلمرستون بصدق فلورنس : لكنه يوصيها  
بحسن الاستعداد .. والمراة للعمل الجليل الذى ينتظرها ..  
ويشجعها : وينصرف ..

ثم يدخل سدنى الذى يبدو عليه أنه كان يعرف ما تخفى

على غيره من أمر فلورنس ، فإذا هو يشجعها أيضا ..  
ويصارعها بأنه مستعد الى مناصرتها الى آخر حد فيما تعتم  
القيام به .

\* \* \*

وفي مطلع المشهد الثانى نرى فلورنس وحدها فى حالة  
من حالات النجوى .. انها محيرة بين هذا الخاطب الذى يحبها  
ويتمنى لو تقبله زوجة .. وبين الرب الذى يتادبها لتخدمه  
بخدمة الانسانية كلها .. « وهل يستوى حب الرجل وخدمة  
الرب ؟ ! » :

ويأتى تريمين .. تريمين الحبيب فيكاشفها بحبه ..  
ولا تنكر أنها تحبه .. لكنها لا تريد أن تخون النداء أو تنكر  
لصوت الرب .

ويتناقش الحبيان ، ويحاول تريمين اقناعها بأن ما تتوهم  
أنه نداء من السماء ما هو الا محض خيال ووهم .. لأن وظيفة  
المرأة الأولى التى كرستها لها السماء هى الزواج وبناء الأسرة  
وانجاب البنين .. وهذا هو النداء الصحيح الأول الأزلى ..  
مبدأ الحياة وغايتها .. انه نداء الجنس منبت الحياة  
واستمرارها ..

وتستحلفه فلورنس ألا يحاول اغراء جسدها على حساب

روحها .. لأنها صممت على ألا تتزوج بالرغم من حبها إياه ..  
لأنها آمنت بالنداء .. ولأن ثمة خلائق كثيرة معدبة تنتظر منها  
العون .. خلائق تشقى في مستشفيات بعيدة .. وهى قد  
عاهدت ربها على أن تكرس حياتها لخدمة هذه الخلائق باسم  
الرب .

ثم تسمو بوجهها الى السماء لتطلب اليها أن تبقى لها  
صداقة تريماين وجهه وأن تعينها على القيام بمهمتها وانجاز  
رسالتها .

\* \* \*

وتمضى سنوات ست أو سبع حينما نكون فى الفصل  
الثانى — وفى المشهد الأول منه .. وتكون فلورنس فى الرابعة  
والثلاثين .. وهى الآن قلب لجنة السيدات النابض .. اللجنة  
المشرفة على بيوت التمريض .. وتكون معها الزباث —  
صورتها العكسية — وزوجة أكبر أنصارها هربرت سدنى ..  
تناقشها فيما اعتزمته من الذهاب الى الشرق متطوعة لتخدم  
جرحى الجيش البريطانى من ضحايا حرب القرم .. وتصور  
لها هذا الذى توشك الاقدام عليه على أنه جنون مطبق .. لأن  
العذارى لا يلقين بأنفسهن بين الجنود الظامئين المتعطشين الى  
الجنس ..

ولكن فلورنس تحاول مع ذلك أن تغرى الزباث بالتطوع  
والذهاب معها .. الا أن الزباث تجيبها بأنها : « امرأة ..  
وليست قديسة مثلك ! ولو أتى رأيت في تشجيع سدنى لك  
أى اضرار به لما سمحت له بمسايرتك ! » .

ثم تدخل والدتها مسز نيتجيل التى سمعت توا بما تعزمه  
ابنتها من الذهاب الى أسكودار ( أوسكوتارى ) للعناية  
بشئون المرضى فتشور بابنتها وتعنف عليها عنفا شديدا ..  
وتأسف على أن أباهما قد سوى بينها وبين اخوتها فى توزيع  
أموالها ، لأن هذا هو الذى شجعها ومد لها فى حبل غيها .. ثم  
تنكر عليها هذه الجراة فى السفر الى ذلك البلد البعيد لخدمة  
الجنود وهى الفتاة العذراء ابنة الأسرة الكريمة .. لكن  
فلورنس تجيبها ان الفرنسيات من أخوات الاحسان يفعلن  
هذا ولا ينكره عليهن أحد ، ولم يتهمن أحد بأهن جانبن خلّة  
الفضيلة ولا خالفن واجبات الشرف .. ويشتد النقاش بين الأم  
وبين الابنة .. ثم تتركها الأم وتتركها الزباث .

ويدخل تريماين .. الحبيب المبدتف .. الذى ندرك من  
حديثه أنه راح يتسلى عن حبه بالضرب فى أرجاء العالم ،  
وارتياد الصحارى والقفار مستكشفا متعرفا ..

ويعرف منها ما تعزمه من السفر الى الشرق للعناية بأمور

جرحى مواطنيها فى حرب القرم فىناقشها فى ذلك ، ويظهرها  
على استحالة قيامها بمهتها هناك ، لأن نظام الجيش الصارم  
لا يسمح « للفضولين بالتدخل » .

وتبسم فلورنس .. وتعود الى ترديد مسألة « النداء »  
وأنه هو الأمر الناهى .. ولما يزل ..

ولا يياس تريماين من اقتاعها بعدم السفر ، ويىدى  
استعداده بأن تختار أية قطعة من الأرض ليبنى لها مستشفى  
أحلامها ، الذى تسهر على شئون المرضى فيه .. لكنها تسأله  
عما يكون حال الجرحى والمرضى فى حرب القرم .. وتلك  
الفوضى فى مستشفيات أسكودار وما تصفه الصحف ويردده  
الشعب من اهمال أبنائهم هناك وتركهم لمصيرهم دون أن  
ينعموا برعاية أحد .. ودون أن يدركهم الرحماء برحمتهم !

وعند ذلك تعلم أن لورد پلمرستون وهنرى سدننى قد  
حضرا لمقابلتها فتستأذن تريماين الذى يقول لها انه ذاهب ..  
ذاهب ليجوب آفاق الدنيا من جديد ..

ويدخل پلمرستون ويدخل معه سدننى .. واذا هما يعرضان  
على فلورنس السفر من قبل الحكومة ورعاية شئون  
مستشفيات أسكودار فى الشرق .. واذا هى تأخذ العرض  
مأخذ الجد .. وتشرط أن تكون هى الأمرة الناهية هناك ..

وينزل پلمرستون الأمر الناهى على شروطها .. عسى أن تنقذ  
المستشفيات من الفوضى .. وتنقذ الجرحى والمرضى البريطانيين  
من الموت .. وتنقذ سمعة بريطانيا ( العظمى ) من البوار .  
وهنا تدخل أمها التي جاءت مزمعة أثناء عزيمة ابنتها عن  
السفر .. لكن پلمرستون يزف إليها التحول الجديد نفسه  
وهنا يتحول موقف الأم .. وتكاد أن تجن من الفرح !  
وتقول مسز نيتنجيل :

« ابنتى .. لشد ما كنا حمقى حين جهلنا قدرك .. انسا  
فخورون بك ولا ندرى كيف نسدى الشكر الى الله .. » .

\* \* \*

ونتقل فى المشهد الثانى من الفصل الثانى الى مستشفيات  
الجيش البريطانى فى أسكودار .. حيث تتم المعجزة .. وحيث  
نرى هذا الملاك الأبيض المجد الثابر الذى لا يكل ولا يمل  
ولا يتعب .. والذى يغالب المرض والطبيعة وأخلاق الناس ،  
ويقهر الروتين السخيف الذى هو أس البلاء ومصدر الفساد  
الادارى حينما حل .. والذى يرى فى جنح الليل وهو يحمل  
المصباح ليمر على أقسام المستشفيات ويوفر الراحة للمرضى  
ويواسى الجرحى ويدخل فى جراهم بلسنا وفى نفوسهم شفاء  
ورضا .. وحيث يفاجأ بحبيب القلب ومثنية النفس ، تريماين ،

محمولا على نقالة وهو يجود بروحه التي يلفظها بين يدي فلورنس .. لأنه ذهب الى المعركة التي تخوضها حبيته ليذل فيها روحه .. وحيث تبكيه فلورنس وتصلى من أجله .. لكن القدر... أو السماء .. أو النداء .. لا يفلته .. ومع ذلك لا تياس فلورنس ، بل تمضى فى مهمتها .. لأن حب الرب أعلى عندها وأسمى من حب الحبيب .  
ألا ما أروع من مشهد !

\* \* \*

وفى المشهد الأول من الفصل الثالث نكون فى انجلترا .. ونكون فيها بعد ست سنوات من وفاة تريماين .. وبعد خمس سنوات من نهاية حرب القرم .. وتكون فلورنس الآن بالرغم من ضعفها أقوى شخصية فى الامبراطورية بعد لورد بلمرستون .. رئيس الوزراء للمرة الثانية .. هذا الرجل الذى يقف هو والملكة من وراء فلورنس ينفذان لها كل ما تأمر به .. ويكون سدنى على رأس وزارة الحرب يفعل لها ما تشير به فى مستشفياتها التى نمت الآن وانتظمت من ضروب الاصلاح .. لكن سدنى ناء الآن بحمله ، وتضعضت صحته .. وهو لهذا يقدم استقالته بأمر أطبائه .. وها هى ذى زوجته اليزابث تحضر لزيارة فلورنس ولتخبرها بما أمر به الأطباء ، والا ساعات حالة

سدنى وخيف عليه . وتدهش فلورنس وتجزع ، لأن هذا يجيء فى وقت كانت هى ومشروعاتها الاصلاحية الكثيرة التى لا تنتهى فى ميسس الحاجة اليه ، بل يجيء فى الوقت الذى كان الجميع يتوقعون فيه أن يخلف هربرت سدنى لورد يلمرستون فى رئاسة الوزارة بعد أن برهن على أنه أقوى وزير ولى منصب وزارة الحرب .

وتشك فلورنس فى صحة الخير ، وتذهب الى أن استقالة سدنى انما هى فرار جندى محارب من ميدان المعركة .. وأن هذا الفرار كان بدافع من زوجته هذه السيدة اليزابث .. ولكن اليزابث تنور .. ولا تبالى أن تتهم فلورنس بما آلت اليه صحة زوجها .. لقد تسلطت عليه بهذا الشيطان الذى تسميه الواجب مرة والعمل مرة أخرى والنداء مرة ثالثة .. وتقول اليزابث :

« لقد آن الأوان يا فلورنس لكى تعلمى حقيقة أمرى .. فىك رغبة جنونية محمومة فى حب السيطرة والغرام بالتسلط .. وفرض آرائك ومشروعاتك على الناس ، اشباعا لكبريائك وارواء لغرورك .. انك تدافعين عن الحرب باسم تمييز المرضى ومواساة الجرحى .. وعملك أو نداؤك المجنون المحموم هو الذى أوهن صحة زوجى .. بل هو الذى ذهب

بتريمانين .. تريمانين الذى خدعه نداؤك وجرفه التيار حتى مات  
بين يديك .. دعى سدنى وشأنه .. فسدنى مريض وأنت سبب  
مرضه .. لقد انتهت الحرب .. لكنك تحلمين بقيام حرب  
أخرى لتواصلى مهمتك ، ولتكونى أهلا للثقة التى وضعها  
الموتى والقتلى والجرحى فى عنقك .. قلت لك دعى سدنى  
وشأنه .. ان منصبه كوزير ، بل كرئيس للوزارة .. منصب  
يستهوئنى ، لكن حياته نفسها أعز على من أى منصب ومن  
أى جاه .. » .

ثم يحضر سدنى .. فتخلى اليزايث لهما الجو .. وتصرف ..  
وهنا يصارح سدنى فلورنس بأن استقالته لم تكن فرارا ..  
وانما هى استعداد : « للموت ! » .. وقد جاء ليشد على يدها  
ويطلب لها العون من الله .. لأنها ستكون فارسة الحلبة وحدها  
من بعده .

\* \* \*

وفى المشهد الثانى تكون فترة قصيرة قد مضت .. وتكون  
فى مكتب فلورنس الجالسة أمام أكديس من الأعمال  
والأوراق ... وللنظر فى المسائل الملحة التى خلفتها استقالة  
سدنى .. ولأنه يعرف كيف أجزت استقالة سدنى هذه زعيمة  
الإصلاح فى وزارة الحرية .. وفى مستشفياتها بخاصة ، فى هذا

العصر . ولا يكاد پلمرستون يخلو الى فلورنس حتى نراها تلح عليه بأن يعد باعادة سدنى الى منصبه بالوزارة متى سمحت له صحته بذلك .. ولو طال الزمن على غيابه عنها .. وذلك حتى لا يكون مضير مشروعاتها فى الاصلاح الى الفشل .. ويعجب پلمرستون من الحاح فلورنس ، ويفهمها أن أمر عودته الى الوزارة ليس من شأنه ولا من شأنها .. انما هو من اختصاص زوجة سدنى .. السيدة اليزابث .. ثم هو من اختصاص سدنى نفسه .

ويحى الجدل بين فلورنس التى جرفتھا حى العمل .. وبين پلمرستون العجوز المخنك الأزرق الناب الذى يأبى أن يكون تلميذا للسيدة صاحبة المصباح .. ولا يقطع التلاحي بينهما الا حضور السيدة اليزابث فجأة .. وحضورها بشباب الحداد .. وهى تتخاذل فيها واهية محطمة .. لتقول لفلورنس ان سدنى .. قد مات .. مات فى ألمانيا التى ذهب إليها — وفى صحبة اليزابث — مستشفيا .. وأنه لم ينس فلورنس قط .. « لقد كان يردد اسمك مع آخر أنفاسه فى هذه الحياة » ..

وتظلم الدنيا فى عيني فلورنس ، وتأخذ اليزابث ملء ذراعيها وهى تنشج وتقول :

« يا لله يا سدنى ! لقد كنت رئيسنا ورائدنا العزيز

المحبوب . ولقد أدركنا الآن مبلغ خسارتنا ورزئنا فيك .  
ولن نراك منذ اليوم أبدا ! » :

\* \* \*

وتمضى خمس وعشرون سنة على وفاة سدنى .. هكذا  
وثبا .. حينما نكون فى المشهد الأول من الفصل الرابع  
والأخير .. وتكون فلورنس .. أو المس فلورنس نيتنجيل كما  
لا تزال آنسة .. غارقة فى كومة من الأوراق والأعمال كعادتها ..  
وبالرغم من تقدم العمر ووهن الجسم .. وبالرغم من هذه  
المرضة المكلفة برعاية ربة التمريض .. انها لا تكل من العمل  
ولا تمل .. وهى الآن منتشية بنجاح مشروعاتها كلها .. وهى  
لا تزال تعبد النظام والدقة فى مواعيدها كدأبها طوال حياتها ..  
وها هى ذى ترفض مقابلة المستر جلاستون الذى كان رئيسا  
للوزارة البريطانية فى هذا المشهد .. ورئيسا للوزارة البريطانية  
التي تم فى عهدها احتلال الجيش الانجليزى لمصر فى عهد  
الخائن محمد توفيق الذى خذل مصر وخذل العرايين .. انها  
ترفض مقابلة جلاستون لأنه جاء لزيارتها من غير أن يطلب  
ميعادا ( !! ) .. وان كان قد جاء ليدبر لها ميزانيات مشروعاتها  
الجديدة .

وتفزع المرضة من ابلاغ كلمات فلورنس الى رئيس

الوزارة .. لكن فلورنس تأمرها بإبلاغ كلماتها اليه بنصها ..  
ثم تلقى عليها درسا في وجوب اتباع النظام والجد في مقابلة  
عظماء الرجال ومواجهة المشكلات بقلب لا يخضع وضمير  
لا يفرغ ما دام النظام يتطلب هذا وذاك .

ونعجب حين نعرف أنها ترفض مقابلة جلادستون في هذا  
اليوم بالذات لأنها تعده شريكها في قتل سدني .. لقد تأمر على  
صحته بارهاقه المتواصل بكثرة العمل ؟ فيا عجبا ! أليس هذا  
هو ما كانت تذهب اليه اليزابث — زوجة سدني — ولا تزال  
تذهب اليه ؟

هل تحرك ضمير فلورنس ؟ ولماذا لا تزال تعبد الروتين  
والنظام اذن ؟

ثم هي تضيف الى أسباب رفضها لقاء الرئيس سيبا  
ثالثا .. لقد جاء في ميعاد حددته للقاء مسز هربرت .. الأمرل  
اليزابث .. ولا يمكن أن يحل أحد ولو كان الرئيس أو الملكة  
محل اليزابث في هذا الميعاد !

وتدخل اليزابث .. وتهنئها فلورنس بأن أعمال سدني  
العظيمة ومشروعاته التي كانت أحلاما قد تمت كلها الآن !  
ولكن اليزابث تزم ما بين عينيهما ، وتقطب تقطيبا حزينا ،  
ولا تبدى أن انجاز مشروعات سدني يههما في قليل أو كثير ..  
ما دام أنها كانت سببا في قتل سدني !

وتسألها فلورنس عما اذا كانت تكرهها لهذا السبب ؟  
وتجيبها أن : لا .. « لأن ديننا ينهانا عن كراهية الناس ..  
بل هو يعلمنا أن نصلى من أجلهم .. ثم ان الانسان يستطيع  
القيام بجلائل الأعمال اذا هو ركز ذهنه في التأملات الدينية » .  
وتسألها فلورنس وهي تبتسم : « أما كان أولى من هذه  
التأملات الدينية أن تشاركينا في انجاز عمل سدني ؟ » .  
وتقول لها اليزابث : « ألا تحبين على أى شىء الا بكلمة  
العمل .. العمل ؟ » .

وتجيبها فلورنس : « انك لا يشغلك الآن الا التأملات ..  
ولكن التأملات شىء ساكن خامد .. أما العمل فينتهى بك الى  
السعادة وأنت ترين النصر النهائى لمن مات .. وأنت اذا بلغت  
هذا النصر حق لك أن تعنى مثلى وتقولى : فلنرحلن الآن !  
ان المرء اذا امتد به العمر حتى يعجزه هذا عن العمل .. فلا هو  
يعمل .. ولا هو ملاق الموت .. كان فى هذا عقابه .. مثلى  
الآن :: أتعنين هذا ؟

وتقول لها اليزابث : قد يكون هذا — ولعل هذه هى  
النار التى تطهرنا من ذنوبنا ، والتى لا محيص لنا من أن  
نصطليها جميعا !

\* \* \*

وفي المنظر الأخير من المسرحية .. أو المشهد الثاني من الفصل الرابع .. نرانا قد وثبنا وثبة زمنية أخرى .. وثبة كبيرة جدا .. حوالى عشرين عاما أو واحد وعشرين .. لقد أصبحت فلورنس عجوزا لا تكاد تعى من أمور الدنيا شيئا .. بل هي لاتذكر من ماضيها الحافل شيئا .. انا اليوم فى سنة ١٩٠٧ .. وها هم يقيمون لفلورنس يوييلا ماسيا اعترافا من الدولة ومن الامبراطورية .. ومن الملك .. بفضلها على الجيش البريطانى والمستشفيات العسكرية البريطانية .. لقد كانت الملكة الراحلة فكتوريا .. والملك الحطلى ادوارد السابع .. يتمنيان لو كانت فلورنس وزيرة للحرية البريطانية .

ولقد أقيم الحفل ليقدم كبير ياوران الملك وسام الاستحقاق الى مس فلورنس نيتنجيل التى هى الآن فى السابعة والثمانين من عمرها الطويل المديد .. والتى لم تعد تذكر شيئا من هذا العمر المديد الطويل .. وهم يقيمون هذا الحفل فى « لهوجة » وفى جهل .. لأن القائمين عليه لا يكادون يذكرون شيئا من أعمال مس نيتنجيل .. اللهم الا ما تقوله الصحف والكتب من أنها كانت يوما ما ممرضة عظيمة خدمت مرضى الجيش البريطانى وجرحاه خدمات جليلة ولا سيما فى حرب القرم .

ويحضر كبير الياوران — وهو مندوب الملك — فيسأل  
عما اذا كان كل شيء معدا ؟ وهو يسأل هذا السؤال لأنه  
مشغول .. وليس لديه وقت .. ان لديه ميعادين فى قصر الملك  
أحدهما لتناول العشاء ! .. وهو لهذا يرجو ألا تكون الخطبة  
طويلة مملة .

ويكتمل العدد .. ولكن لا بد من الانتظار لأن عمدة لندن  
لم يحضر بعد .. وانتظار دقيقة أو دقيقتين ليس بالأمر المهم ..  
آه .. لقد حضر .

وتحضر ليدى هيرت أوف لى أيضا .. أى اليزابت  
الصالحة ! ولا تزال فى ثياب الخداد ! وان تجاوزت الثمانين  
هى أيضا ! انها لا تزال تحسد فلورنس على صحتها التى  
تقاوم الزمن والتى لم يستطع سدنى مجاراتها فى نشاطها  
فخر صريعا فى المعركة !

ويتقدم مديرو الأمن بسجل الأحرار الى مس فلورنس  
التى جاءوا بها محمولة على عربة المرضى لكى توقع فيه  
بامضائها .. ولكن .. كيف ؟ انها لا تفهم لماذا توقع ولا كيف  
توقع .. ولهذا فالمرضة تمسك بأصابعها وبينها القلم لكى  
يتم التوقيع بأية صورة من الصور ..  
وتسأل فلورنس عما جعلهم يجيئون بها .. ولماذا هذا

الخصل .. فتقول لها المرضة انه من أجل تكريمك والاحتفال بك ... فلا تفهم فلورنس .. وتكتفى بهذه العبارة المجاملة : هذا جميل .. هذا تلطف وعطف كبير !

ويتوالى الخطاب .. ومنهم من لا يعرف اسم أسكودار ولا يدري أين موضعها على الخريطة .. وتتابع آيات الثناء وصدر الوزير أو كبير الياوران يكاد ينشق خوفا على العشاء الملكي !

ويقف المنسوب الأمريكي وهو رئيس جمعية الصليب الأحمر هناك فيقول : — أمريكا لا تعرف الأوسمة ولا تدرى ما النياشين .. ولكنها كرمت مس فلورنس نيتجيل مع ذلك فأقامت باسمها آلاف الدور للصليب الأحمر ومستشفيات الجيش .

ويقف عمدة لندن ليخطب .. لكنه يجد أنه نسي مذكراته فيرتجل كلمة تدل على جهله العظيم !

أما سفير امبراطور ألمانيا فيقدم لفلورنس باقة من الزهر اتقاها الامبراطور من حديقة قصره بيديه الكريمتين ..

وتلمح فلورنس في صحوة من صحوات الشيخوخة صديقتها ليدي هربرت .. أي الزباث .. فتقول لمرضتها : « أليست هذه مسز هربرت ؟ لله كم كانت جميلة وهى فى شبابها .. ولقد كنا صديقتين حتى مات .. »

ثم تغيب عن رشدها مرة أخرى .. فتتقدم إليها اليزابث  
وتسألها ان كانت لا تعرفها ؟ لكن فلورنس لا تعرفها بالفعل !  
وتتقدم اليزابث إليها وتتناول يدها « لأقبل يد معاصرتي  
العظيمة ! » .

وتسأل فلورنس : من فعل هذا ؟

فاذا عرفت أنها اليزابث .. قالت انها قد فارقتها منذ زمن  
بعيد .. بعيد ..

وتسألها اليزابث ان كان قد آن الأوان لكى تغفر كل منهمة  
لصاحبها ؟

وتقول فلورنس : كما نغفر لمن كان آثما فى حقنا !

ثم تدفع الممرضة العربية .. وتخرج بفلورنس نيتجيل !

\* \* \*

وعلى ضوء هذه الخلاصة السريعة نلاحظ أن المسرحية  
تفضى بنا الى الحيرة حين نضعها كما وضعها أستاذنا الأرديس  
نيكول فى المذهب التعبيرى .. حقيقة انها تعطينا صورة من  
أغوار نفس فلورنس .. وأنها تقع فى مشاهد ثمانية متتابعة ..  
وأن فلورنس كانت تلجأ الى النجوى التى تكشف بها عن ذاتها  
كما رأينا .. وأنها كانت تؤمن ايمانا عميقا بعالم الغيب  
والشهادة .. وأن هذا العالم كان يبلأ تفكيرها ويأخذ عليها  
مسارب هذا التفكير .. ولعل ايمانها بالهاتف السماوى هو

الذى يكون أزمتهما الروحية .. تلك الأزمة التى جعلتها تؤمن بالعمل وأخذ كل شيء مأخذ الجد والنظام .. بل هو الذى جعلها تضحى بحب تريماين .. بل بحبها .. وهو الذى جعل لها تلك الشخصية العارمة التى كانت تخضع جميع من حولها ومن يتصل بها .. ومنهم سدنى ويلمرستون وأغبياء رجال الادارة فى مستشفيات أسكودار .. بل هو الذى جعل المرضى يعتقدون فيها النبوة .. فيحبونها ويهيمنون بها .

لكن هذا كله يكاد يكون موجودا فى مسرحيات كثيرة واقعية أو رومسية تشتمل على هذا الجانب التعبرى .. وربما على أكثر منه .. انا نجده فى هاملت وكثير غيرها من رومسيات شيكسبير الاخبارية .. ونجده فى كثير من المسرحيات الشعرية ذات الأجواء المتصلة بما وراء الغيب .

وعلى ذكر تلك الأجواء يتبادر الى ذهننا ذكر المذهب الصوفى فى المسرح .. وتتبادر الى ذهننا شخصيات صوفية كثيرة يحفل بها تاريخ الصوفية فى الشرق .. وشخصية رابعة العدوية بخاصة .. تلك السيدة التى جعلها حبها لله تغيب عن هذه الحياة الدنيا فلا تتمتع بما فيها من مباحج .. لقد اشتد ايمانها بربها حتى أصبح هذا الايمان حبا ومكاشفة .. ثم اندمجا فى الذات الكلية .. وعودا عن الجهاد فى سبيل أى

شيء إلا التفكير والتأمل في الله سبحانه .. ومن هنا تختلف  
الرؤية عن فلورنس .. لأن فلورنس التي آمنت بالسماء وبندائها  
ووجها ورؤياها كل هذا الايمان لم تكن سلبية مثل رابعة ..  
لقد حولت هذا الايمان الى عمل وجهاد وخدمة في أشرف  
ميدان .. خدمة الجرحى والمرضى وضحايا الحرب من بني  
جلديها .. وهذا يذكرنا بالمتصوفة الايجابيين من رجال  
تاريخنا .. وفي مقدمتهم ابن تيمية على سبيل المثال .. ذلك  
السني المجاهد الذي لم يكن بموقف المتفرج حينما غزا التار  
الثام .. بل حمل سيفه وقلمه ولسانه ليقف في صدر الجيش  
الذي هزم التار وردهم مدحورين من حيث جاءوا فلم يعودوا  
لمثلها أبدا .

ومثل ابن تيمية خولة بنت الأزور التي دفعها ايمانها بالله  
الى امتشاق السيف وخوض المعامع الطاحنة بالرغم من  
تصوفها .. وهل كانت تفعل هذا لو لم تكن متصوفة لا تعرفها  
هذه الحياة الدنيا ، ولا يعرفها بالله الغرور ؟

لذلك تؤثر أن تقف بتلك المسرحية من مسرحيات التراجم  
التاريخية في مفترق طرق ثلاثة .. بين المذهب الصوفي ممثلا  
أولا : في روح فلورنس ، وثانيا في روح سدني .. وثالثا :  
في روح اليزابث في الفصل الرابع حينما غلب عليها تدينها  
وسيت حقدتها القديم على فلورنس .. ثم بين المذهب التعبيري

الذى استكمل بعض عناصره فى المسرحية وافتقد فيها الكثير من هذه العناصر ، شكلا وموضوعا .. ثم بين المذهب الواقعى الذى يتجلى فى معظم المراحل وفى معظم الشخصيات بحيث يفرق المذهب التعبيرى فيها ويغطى عليه .

\* \* \*

وقد جاء بناء المسرحية بالضرورة بناء مفككا ، وفيه وثب شديد فى كثير من الأحيان .. ووضع فترات من الزمن تقرب من ربع القرن ومن خمسة حتى بين مشهدى الفصل الواحد عمل مسرحى منتقد .. ولو قد لجأ الكاتب الى جعل مسرحيته حلما يبدأ بفلورنس وهى فى الثمانين أو السابعة والثمانين .. ثم اذا هى تتردد تاريخيا الى مدارج شبابها فكحولتها فشيخوختها فهرمها ، لخفف ذلك من خطف هذه السنين الستين على تلك الصورة القلقة غير المهضومة .. هذا بالاضافة الى ما أتلّف به المؤلف مسرحيته .. أو قل تعبيريته وصوفيته على السواء ، بتلك اللهجة التعليمية والأسلوب الوعظى الخطابى الذى تعمد أن يحشو به المسرحية بدروس فى فائدة العمل والنظام والادارة الحازمة وايثار الواجب العام على المصلحة الذاتية ووجوب الاستعداد للعمل الذى يزمعه الفرد قبل التمرس به .. الى آخر هذه الخطب التى حشدها المؤلف على ألسنة الشخصيات جميعا وبلا استثناء وفى غير فن .

ثم لا يفوتنا أن نشير الى بشاعة تصوير مس فلورنس  
نتنتجيل بتلك الصورة الشنيعة التي جعلها تجبذ الحرب  
وتعبد الجيش وتكرس حياتها كلها لاصلاح الأمور في وزارة  
الحرب البريطانية لتكون أداة استعمارية مسعورة .. وعدم  
مبالاة فلورنس بالتصريح بذلك واعلانه والمفاخرة به وهي  
تجادل اليزابث .. هنا يهبط المؤلف .. ولعله وهم ، لكونه  
عسكريا هو بالذات ، أن هذا واجب مقدس في عنقه بوصفه  
رجلا من رجال الجيش البريطاني .. فهنا فرق ما بين الكاتب  
الكبير والكاتب العبقري .. فرق ما بين بيركلي ودرزنكووتر  
مؤلف أبراهام لنكونن.. حيث جعل الحرب شيئا لازما وضرورة  
من ضرورات الحياة حينما لا يكون عنها غنى للدفاع عن  
النفس ورد المعتدى الى صوابه .. أما الحرب الاستعمارية في  
القرم بحجة الدفاع عن تركيا فجرينة انسانية كانت تخفى  
وراءها نية اقتسام أملاك الرجل المريض في الشام ومصر وشمال  
افريقية .. وقد حدث هذا بالفعل .. وحدث في حياة فلورنس  
نتنتجيل نفسها .. بل لقد كانت هي لا تزال القائمة على الشئون  
الإدارية في مستشفيات الجيش البريطاني .. ومنها مستشفياته  
في مصر حينما اعتدى هذا الجيش الملعون على مصر العرايبة  
وسفكه بالخيانة دم العرايين ، ثم اذلاله لأعناق المصريين بعد

هذا مدى سبعين عاما ، ثم اتخذه مصر قاعدة فيما بعد  
للوثوب الى فلسطين والعراق والسودان .

فهل كان نداء السماء الذى طرق أذنى فلورنس واستأذن  
بالدخول على قلبها أمرا بهذا كله ؟ هذا هو ما أضعف الدافع  
الفعال فى المسرحية وخذله .

لشد ما ظلم الكاتب فلورنس ذات المصباح .. وما كان  
أجدر به أن يغير الصورة ويجعلها أكثر انسانية من هذا ..  
ليصلح عرض المسرحية خارج بريطانيا على الأقل ..  
على أن هذا لا يقلل من قيمة ترجمة المسرحية فى شئ ..  
لأننا محتاجون الى الاطلاع على جميع التيارات الأدبية ،  
ولا سيما ما له مساس بتاريخنا .. اننا محتاجون الى معرفة  
هذه التيارات الأدبية التى تستغلها السياسة فتصورها من  
وجهة نظر قومية ينافق بها الكاتب أهل بلاده .. وكثيرا ما كان  
شيكسبير نفسه يقع فى هذا فكان ينصر الجيش الانجليزى ..  
رافع علم الاثم .. على الجيوش الأجنبية — رافعة أعلام  
الحق — كما فعل فى مأساته « الملك لير » .. وان دافع عن  
نفسه فى هذا الصدد فقال : « ذلك لأنى أكتب مأساة ! » .

\* \* \*

وبعد .. لقد توفى بيركلى فى الرابعة والأربعين من عمره ..  
ولو أنسأ القدر فى عمره لأمدنا بالروائع بعد الروائع .. ولأعاد

النظر في هذه المسرحية بالذات فقوى فيها العامل الانساني حتى يظهره على العامل القومي ، ولتكون بذلك قطعة عالمية انسانية طيبة .. انه لم يشرق قط الى أن فلورنس نيتنجيل كانت تحفل بجرحى الأعداء كما يوجب دستور الصليب الأحمر الذى كانت هى السبب فى انشائه .. بل لم يشرق قط الى أنها كانت تحفل بجرحى الحلفاء من فرنسيين وأتراك وسردنيين .. ولا تقول بالجرحى المصريين .. فكيف نسى هذا ؟ وهل كان حتما أن يصبغ المسرحية بهذا اللون الأحمر الانجليزى القاعق ؟ لهذا وصف ألابرديس نيكول الكثير من مسرحياته بأنها تفتقر الى العاطفة القوية الصادقة وان لم تفتقر الى القوة والعظمة والرفعة .. على أن ليبركلى من المسرحيات ما يجعله أهلا للخلود ، وما كنا نؤثر أن نبدأ بترجمته (١) . درينى خشبة

تنبيه :

وقع فى مقدمة العدد ٤٤ من روائع المسرح سهو فى ص ٣٦ اذ وردت كلمة : « القلق » مكان « النزق » فينبه .

(١) من أشهر مسرحيات بيركلى :

مسرحية الحاملة *The Quest of Elizabeth* ثم *Eight o' Clock*  
*The Mango Island* ثم *The World's End* وظهرت كلها سنة ١٩٢٦  
وأحسن مسرحياته كلها هى مسرحية *The White Chateau* (١٩٢٧) التى يظهر فيها تأثيره بالكاتب الكبير جيمس بارى ٠٠٠ ومن مسرحياته أيضا : *Machines* (١٩٢٧) ثم ذات المصباح التى ظهرت سنة ١٩٢٩ ونجحت نجاحا كبيرا ( د . خ )

## أشخاص المسرحية

- وليم نيتنجيل : ( سليل أحد البيوتات العريقة )
- مسز نيتنجيل : زوجته •
- مس فلورنس نيتنجيل : ابنتهما •
- لورد پلمرستون : وزير ثم رئيس وزراء بانجلترا •
- سدنى هربرت : عضو برلمان ثم وزير للحربية •
- اليزابث هربرت : زوجته •
- هنرى تريمين : شاب ثرى مولع بحب فلورنس ويريد أن يتزوجها •
- سلينا بريس بروج : صديق فلورنس •
- دكتور سمث : مدير الخدمات الطبية بالجيش •
- دكتور كمنج : مفتش عام المستشفيات •
- دكتور سذرلاند : رئيس اللجنة الصحية •
- جراح بالجيش :
- بامفورد : ضابط الامدادات بالجيش •
- مس بيتس : ممرضة •
- مسز وليمز : ممرضة
- چونز : أونباشى بالجيش •
- مكدونالد : محرر بصحيفة التيمز ( بالقرم ) •
- صحفى :
- مندوب جريدة التيمز لحفل تكريم مس فلورنس اللورد عمدة لندن
- مندوب الصليب الأحمر الأمريكى للحفل •
- مندوب من السلك السياسى الألمانى للحفل •
- كبير الياوران للحفل •
- أمين التشریفات للحفل •
- يعض المحاربين القدامى بالقرم للحفل •

8

9

10

11

## 1. Introduction

The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records and the role of the committee in ensuring that all necessary information is collected and analyzed. It highlights the need for transparency and accountability in the process.

The second part of the document provides a detailed overview of the current situation and the challenges faced by the organization. It includes a list of key findings and recommendations for improvement.

The third part of the document outlines the proposed action plan and the timeline for implementation. It also includes a list of responsible parties and a budget for the project.

The final part of the document concludes with a summary of the key points and a call to action for all stakeholders to work together to achieve the organization's goals.

## الفصل الأول

### المنظر الأول

شرفة فسيحة بحديقة بيت « وليم نيتنجيل » الرئيسى فى ريف « امبلى پارك بهامشير » - وهى تطل على رقعة متسعة من الأرض ذات ماش مرصوفة ، وأحواض للزهور ، ولها سلم عريض الدرج يصل الى مروج تكسوها الحشائش • وفى مقدمة الحديقة نافورة يتساب منها الماء •

والموقت صيف فى أخريات الشق الأول من القرن التاسع عشر • وكان يجلس فى الشرفة فى أصيل يوم من أيام شهر أغسطس وقد أرسلت الشمس أشعتها الذهبية ، جماعة قليلة من بينهم « لورد پلمرستون » وزير خارجية انجلترا ، ولم يكن ليجاريه أحد من رجالات أوروبا فى كسب احترام الناس ، وبجواره مستر « وليم نيتنجيل » رب البيت ، ثم زوجته «فانى» ، وهى تكبره سنا ، وكانت أساريرها تدل على العنف ، وقد جلست على مقعد مستقيم الظهر ، وعلى ركبتها سلة بها مستلزمات أشغال الابر •

وكان رابع الجماعة « سدنى هيررت » ولم يكن قد بلغ الأربعين ، وهو عضو بالبرلمان ، وصار فيما بعد وزيراً للحرب يوزارة سير « روبرت پيل » •  
وكان لورد « پلمرستون » ممسكا بكتاب فى يده ، وقد دل مظهر جلسائه على أنه أثار موضوعا للنقاش •

نيتنجيل : ولكنه يبالح كثيرا في أسلوبه .

هربرت : أظنه كذلك .

پلمرستون : هذا شأنه في كل ما يقول ، وأكثر قوله هراء ،

ولو أنه يأتي في بعضه أحيانا بما هو جدير

بالاعجاب ، لما يدل عليه من عمق التفكير .

مسز نيتنجيل : وما اسم الكتاب يا لورد پلمرستون ؟

پلمرستون : « الماضي والحاضر » .

مسز نيتنجيل : حقا !

پلمرستون : وهو من تأليف الكاتب الاسكتلندي « كارليل » .

مسز نيتنجيل : الحق يقال اني لم أسمع عنه من قبل .

نيتنجيل : عجايا « فاني » ، لقد سمع به جميع الناس ،

وهو مفكر ذائع الصيت .

مسز نيتنجيل : وفيهم يفكر ؟

هربرت : في أن واجب الناس جميعا أن يعملوا .

مسز نيتنجيل : هذا سخف ، نعم يجب على الفقراء أن يعملوا

والا هلكوا . فالانسان ليس اني حاجة الى العمل

ما دام لديه مال ، وما الذي يوجب العمل ؟

پلمرستون : يستزيد المرء من المال .

مسز نيتنجيل : وهل تفعل هذا أنت ؟

**يلمرستون :** ( مبتسما ) لا ، اذ لست ممن يهتمون بالمال كثيرا ، ولكنى أعمل لأنى أحب العمل .

**مسز نيتنجيل:** ان كان هذا هو الدافع اليه فلا تعده عملا ، على أنى أراك غير منصف لنفسك ، لأنك تخدم وطنك ، لشعورك يا لورد بالمرستون بأن هذا من واجبك .

**يلمرستون :** انه شعورى بالواجب نحو تقصى ، وأخشى أن أقول انى أعمل حبا للسيطرة ولكرهى للكسل .

**مسز نيتنجيل:** هذا جميل ، ولو كان العمل هو مجرد أداء المرء لما يجب ، فانى لا أجد مبررا لما ناله مؤلف هذا الكتاب من شهرة عظيمة بوصفه شخصا مفكرا .

**هربرت :** ولكن ليس هذا هو ما يرمى اليه يا مسز نيتنجيل ، لأن تفكيره يتجه الى أن من واجب كل انسان أن يؤدى عملا مفيدا ، كما نرى أن للعمل روحا .

**مسز نيتنجيل:** ما من أحد الا وله روح يا مستر هربرت ، وعلى الأقل هذا ما أرجو أن يكون ، وأغلب ظنى أن هذا الكتاب غير عملى وبعيد عن جادة الصواب .

ولكن كيف دخل بيتنا يا وليم ؟

**نيتنجيل :** أظنه كتاب فلورنس .

**مسز نيتنجيل:** كان يجدر بى أن أعلم هذا دون أن أسألك ،

لأن الصغيرة المسكينة ليست عملية بحال ، هل

تسمح لى برؤيته يا لورد پلمرستون ؟

**پلمرستون :** دون شك ، وستجدين فيه أبحاثا كثيرة تدل على

مهارة فائقة ، وموضوعاته التى تناولت انجلترا

فى العصور الوسطى فى غاية السبك ، ولكنى

أراه وقد تعرض للأحوال فى هذه الأيام ،

يشتط بقلمه حتى يصل به الى الكثير من

السخافات .

**مسز نيتنجيل:** ان أردت أن تعرف ماذا يهدف اليه هذا الرجل ،

وجدته سخفا بختا ، ويخيل الى أن الناس

جميعا متلى لا يفهمون نصف ما يقول ، ويخيل

الى كذلك أنه يظن أن من العار أن يكون المرء

غزالا ، وأن من امترك مصنعا أو طاحونا فهو

أثم . وأرى ألا يسمح بنشر مثل هذا الكتاب ،

لأنه ولا شك يحرض على قيام الثورات ويسمّم

عقول الصغار ؛ لماذا لا تمنع الحكومة تداوله

يا لورد بالمرستون ؟

**پلمرستون :** لاشك انك تعلمين أن أكثر ما تعنى به الحكومة

هو التقليل من الفوارق الكبيرة بين الطبقات  
لازيادتها ، وعلاوة على ذلك ، فليس لها أن  
تقف في سبيل حرية ابداء الرأي .

**مسز نيتنجيل:** ان الأوغاد والخونة يضللون كثيرا من التبساء  
حتى يبعدهم عن الطريق السوى ، وأولى  
بهؤلاء أن يزج بهم في السجون .

**نيتنجيل :** ليس هذا في الامكان يا « فاني » لأننا في القرن  
التاسع عشر .

( وتلحق بالجماعة فتاة جميلة سوداء الشعر  
في مستهل السنوات التي بعد العشرين ،  
انها « اليزابث هربرت » وقد تزوجت  
« سدني » منذ عهد قريب ) .

**بلمرستون :** ( مخاطبا مسز نيتنجيل وهو يتسهم ) : لقد  
كانوا يسمون والدك في مجلس العموم «بسميث  
قاتل الملوك» ، ولم تر عيني رجلا أعظم منه في  
احداث الانقلابات .

**مسز نيتنجيل:** لم يكن هذا بطبيعة الحال إلا لتمسكه بالمبادئ،  
ولقد كان رجلا ذا آراء ، شأنه في ذلك شأن  
أخي « سام » وكان أعز الناس وأكثرهم حنانا ،  
ولكن لو كان قدّر لك أن تعيش في منزله

لأدركت ما للتباديء والأفكار من الاطاحة  
بعقول الناس .

**هربرت :** ولكن لا مرأ أن الأفكار هي أساس التقدم .

**مسز نيتنجيل:** ولكنها لا تمشي مع الحياة العملية ، ولقد كانت  
الآراء في منزل أبي تحتل مكان المناضد والمقاعد ،  
وكنت لا تدري متى تثبت على الفكرة ومتى  
تنهار من تحتك ، واني لأحمد الله اذ لم يجعل  
« وليم » رجل آراء .

**فلورنس :** سوف تتجدد تلك الظاهرة في الأحفاد ، وكم  
ستلاقين بسببها من متاعب .

**مسز نيتنجيل:** في أحفادنا ؟ ليته يكون هذا فحسب ، ولكن  
الأدهى والأمر ، أنى أراها قد تجددت عند  
فلورنس .

**هربرت :** آه ! فلورنس ! ولكن فلورنس تختلف عن  
الجميع ، فهي ...

**اليزابيث :** هي أدهش واحدة صادفت « سدني » .

**نيتنجيل :** هذا اذا استشيت نفسك بطبيعة الحال يا مسز  
هربرت .. بلا شك .

هربرت: ولكنني لا أماري إذا قلت إن « من تينجيل »  
عجيبة ، لما لها من قدرة وبصيرة .

مستر تينجيل: شكرا يا مستر هربرت ، وتلك هي الكلمة التي  
أزيدها « عجيبة » وانها كذلك بالضبط ، انها  
« عجيبة » فهي فتاة يهيم بها نصف رجال لندن ،  
ويودون الاقتران بها ، وهي تقيم في منزل جميل ،  
ولها والدان لا ريب أنهما يوصفان بحسن  
الادراك ، وماذا تريد أن تعمل ؟ هل ترغب أن  
تصبح دوقة ؟ لا ، وهل تريد أن تكون ربة بيت  
وتستقبل الساسة ؟ لا ، هل تريد أن تكون ولو  
فنانة ، مع تأكيد بأنها قادرة على تعلم الرسم  
واتقانه ، أو العزف على البيانو ، أو غير هذا مما  
يُعتبر من مقومات النساء ، انها لا تغير كل هذا  
أبى انتباه . انها تود أن تلتحق بمستشفى  
« سلسبرى » لتكون ممرضة عادية ، ولذا أراك  
على حق يا مستر هربرت عندما تقول انها  
« عجيبة » .

هربرت : هذا حسن ، ولكنها لا تريد البقاء هناك ، وانما  
تريد للران .

مسز نيتنجيل: وما هو المران؟ كى ترى أشياء لا تليق بالسيدات  
وتختلط بجمالة الناس؟ انك لا تدرى ماذا  
يحدث بالمستشفيات، فالمرضات دائما  
مخمورات، وهذا قليل من كثير مما يحدث  
هناك.

هربرت: من الصعب تصديق ذلك ..

پلمرستون: وأنا أعتقد أن هذا هو عين الحق، ولو أن  
واحدة مثل «مس نيتنجيل» أخذت على عاتقها  
القيام بهذا الأمر، وتعهده من جميع نواحيه،  
ألا يكون عملها هذا بداية لأمر أفضل؟

نيتنجيل: وهذا ما أقوله دائما يا عزيزى، وهى تحس  
دائما أنها تسمع هاتفا يدفع بها الى هذا الاتجاه.

مسز نيتنجيل: هاتفة!! كيف تقول مثل هذا الهراء يا عزيزى؟  
ان الهاتف لا يكون الا للقديسات، ولا يكون  
للشابات الغيبات ذوات الأفكار العجيبة.

هربرت: انها تبدو كالقديسات.

اليزابيث: (همسا): وهى فى زيها مثلون .. أرانى قد  
أخطأت فى الكلام مرة أخرى.

مسز نيتنجيل: (مكتبة) لا يا عزيزتى ولكنك لسوء الحظ

قلت الصدق ، وانك لم تنطقى الا حقا ؛ لأنى  
عجزت أن أقنع هذه الصغيرة كى تعنى بزيتها ،  
كما أنها لا تهتم بالاختلاط بالناس ، وتراه  
يضايقها ، وما من أحد الا ويظن أن الحب  
أضناها الا أنها فى الواقع لا تطيق رؤية الرجال.

**اليزابيث :** ( وقد خجلت قليلا من ملاحظتها الأخيرة ) :  
ولكن هذا جميل منها حقا يا مسز نيتنجيل .  
**مسز نيتنجيل:** انك تسمين هذا جميلا ، ولكنى أراه حماقة .

**هربرت :** انى أقول انه جميل ، وانه رائع ، وأنا أثق فى  
« مس نيتنجيل » وأظن أنها ستقوم بعمل  
عظيم ، عمل لم يقم به أحد غيرها ..  
( ويقطع حديثه ظهور ثلاثة على السلم  
المؤدى الى الجانب البعيد بالشرفة )

**مسز نيتنجيل:** انك تتحمس لابتنى بشكل غريب .  
**نيتنجيل :** صه يا « فانى » ها هى ذى قد أقبلت .

( وقف على السلم رجل وفتاتان ، وكان  
الرجل معتدل القوام ، وله هامة جميلة  
وشخصية مهيبة ، وتدل تقاسيم وجهه على  
القوة ، وكان يدعى « هنرى تريماني وهو  
يقرب من الثانية والثلاثين ، وكانت كبرى

الفتاتين تدعى سلينا بريس بردج »  
 والأخرى « فلورنس نيتنجيل » صغرى  
 بنات أسرة نيتنجيل ، وقد قاربت الآن  
 الثامنة والعشرين ، وهى طويلة ممشوقة  
 القوام ، رشيقة ذات شعر بنى غير غزير ،  
 وهى مليحة الأديم ، وعيناها رماديتان  
 واسعتان ، وأما وجهها فلم يكن جميلا  
 بالمعنى المألوف ، ولكن نارا خفية أضغت  
 عليه نورا . وكانت الفتاتان تقفان معا ،  
 بينما كان « تريمان » يبتعد عنهما قليلا  
 ويبدو عليه الارتباك .

**مسز نيتنجيل:** ( لا اراديا وقد أدركت الموقف ) : أليس هذا

مما يضايق كثيرا ؟ سوف يتكرر ما حدث مع

« شكلفورد » يا عزيزى ، لقد طلب منى ذلك

الفتى المسكين أن أهنيء له فرصة التقدم

للخطبة ، ولقد أرسلتهما للرياضة معا ،

فدبرت هى بطريقة ما ، أن تصحب معها « سلينا

بريس بردج » — والله يعلم لماذا تريد هذه أن

تتدخل بينهما ، مع أنى أراها حريصة على أن

يكون لها زوج ، وسيكون من نتائج ذلك أن

ابنتى لن تتزوج أبدا .

( تريمان يستدير ويدخل البيت بعد

انحناء تقليدية لفورنس ) .

انظر ، هذا هو نفس الشيء الذى فعله لورد

« شكلفورد » منذ سنتين عندما رفضته —

الحق يا عزيزى وليم ، ان ابنتك متعبة .

يلمرستون : هيا ، هيا ، أراكِ تنسين أخطاء الأبناء الى الآباء .

نيتنجيل : أنت تعلمين يا جييتى « فانى » أنها ابنتك كما هي ابنتى .

( فلورنس و « سكيننا » تنسحبان بهدوء )

وتلاحظهما مسز نيتنجيل فتنادى قائلة :

ياعزيزتى فلورنس ! )

فلورنس : نعم يا أمى الحبيبة .

مسز نيتنجيل: هل كانت النزهة ممتعة ؟

فلورنس : لقد كانت جميلة حقا ، ولقد سرنا أميالا .

مسز نيتنجيل: ما كنت أعلم أن « سلينا » ستذهب معك .

فلورنس : ولم تكن هى تعلم أيضا ، ولكنى أنا التى طلبت منها ذلك .

مسز نيتنجيل: ما كان يجب يا عزيزتى « سلينا » أن تجعلها تتبعك .

سلينا : ولكنى أحب هذا يا مسز نيتنجيل .

مسز نيتنجيل: نعم يبدو ذلك ... ، ولكن رغم هذا أرى أنك  
ما كنت لتجعلها تتعبك ( واستمرت تسأل  
فلورنس ) .

وأين ذهبتم يا حبيبتى ؟ هل ذهبتم الى الغابة ؟  
فلورنس : لا ، ولكننا ذهبنا لزيارة مرضى .

مسز نيتنجيل: كم كنت أود يا عزيزتى ألا تستعملى لغة العامة  
من الناس ، ولست أفهم ماذا تقصدين .

فلورنس : أقصد مرضى يا أمى العزيزة ، انى أقوم  
بتمريضهم .

مسز نيتنجيل: ابنتى العزيزة ، أرى أن لك خيالات عجيبة ،  
ولكن لا ضير .

پلمرستون : أود لو قلت لى يا « مس » من يكون هؤلاء  
المرضى .

فلورنس : نعم ، هناك « مرجيرى » العجوز والدة وكيل  
مكتب البريد ، وهى تعاني من الربو ،  
وتمريضها يضمنى أكثر مما لو كنت أقوم  
بتمريض عنبر ملء بالمرضى ، وهناك غيرها  
مزارع يشكو جرحا كبيرا ، لقد جرح نفسه

بالمجمل ، ويجب أن أنظفه وأضمه كل يوم ،  
لأنه جرح غائر حتى العظم .

مسز نيتنجيل: يا عزيزتى فلورنس ، أنت لست فى حافوت  
قصاب .

فلورنس : وهناك رضيع فقد أمه ، ويحاول والده أن  
يطعمه لحما فى غيابى ، وامرأة عجوز تشكو من  
الروماتزم ، وهى فى حاجة لتدليك كتفها ،  
وهناك « داندى » ويعلم والدى أمره .

نيتنجيل : انه كلب الراعى ، لقد كسر الفخ له ساقا أمامية،  
وكان يجب قتل هذا المسكين .

فلورنس : ولماذا يجب قتله ؟ فالعظم سليم كعظم الأدمى ،  
وهو محتاج الى العناية فقط .

مسز نيتنجيل: نعم يا عزيزتى ، ولكن لا تعارضى والدك .

فلورنس : لا يا أمى ، وكونه والدى يحتم عدم معارضته ؟

اليزابيث : أرجو أن تصحيينى معك يا فلورنس لأرى  
مرضاك .

فلورنس : بكل تأكيد .

اليزابيث : وكذلك « سدنى » لأن هذا يهمله .

فلورنس : وهل يهملك هذا ؟

- هربرت** : يهمنى كل عمل تقومين به يا مس نيتنجيل .
- فلورنس** : حسنا ، ولنذهب جميعنا باكر صباحا .
- هربرت** : لى فكرة ، وسأتحدث معك بشأنها ، أريد أن أنشئ مكانا لنقاها المرضى ، اذلا وجود لشيء كهذا ، أريد دارا لنقاها المستأجرين عندي .
- ولى قطعة من الأرض قريبة من البحر ..
- واليزايت تعلم كل شيء عن هذا .
- اليزايت** : انه مشروع جليل ، وسوف نمدهم جميعا بكل ما يحتاجون اليه .
- مسز نيتنجيل**: انه لشيء سار حقا .. وبودى لو نجد من يمدنا — نحن — بكل ما نحتاج اليه يا عزيزتى فلورنس . ماذا عملت لتريمان المسكين بعد أن أفسدت شهيته بالحديث عن مرضاك ؟
- فلورنس** : لست أدري ، وأين ذهب يا « سلينا » ؟
- سلينا** : قال انه سيكتب بعض الرسائل .
- مسز نيتنجيل**: انه ضيف والدك يا عزيزتى كما تعلمين ، وكان المفروض أنك ترحبين به وتكرمين ضيافته .
- فلورنس** : أظن أنى قمت بهذا الواجب على أكمل وجه حتى انه ظن أنى كنت أمزح ولست جادة .

**نيتنجيل** : ان هذا لا يدهشنى أبداً ، وأظن أن الأحرى بى  
أن أذهب لأقدم اليه شيئاً من المنعشات .

**مسز نيتنجيل** : وأظن أننا جميعاً فى حاجة الى قليل من المنعشات ،  
وهذا وقت تناول الشاى .

( يتحرك الجميع - وتقف كل من سلىنا ،  
واليزابث ) .

**پلمرستون** : ( يقف ) : لست أريد شيئاً وسأبقى هنا اذا لم  
يكن هناك ما يمنع .

( ينتظر « نيتنجيل » ويتناول الحقيبة من  
زوجته ، وأما هربرت وپلمرستون فيتبادلان  
بعض الحديث قبل خروج هربرت مع  
اليزابث ، وتدخل مسز نيتنجيل فى  
مقدمتهم بينما تبقى فلورنس جالسة ) .

**فلورنس** : لقد أصبحت من المنبوذات ! هل لديك مانع  
يا لورد پلمرستون من أن أجلس معك ؟

**پلمرستون** : انه شرف فوق ما أستحق .

**فلورنس** : حبذا لو تكرمت بإسداء النصح ؟

**پلمرستون** : وهذا يفوق الاطراء ، وفيم النصيحة ؟

**فلورنس** : فى شخصى .

**پلمرستون** : اننى طوع أمرك .

**فلورنس** : أليس للنساء أى قدرة على القيام بعمل نافع  
في هذه الحياة ؟

**پلمرستون** : انهن يقمن بنصييهن في ضمان وجود البشرية ،  
ويتوقف اعتبار كون هذا العمل نافعا أو غير  
نافع على ميول السائل وبوجهة نظره .

**فلورنس** : ولكن هل يتحتم على النساء أن يقيد نشاطهن  
فلا يكون الا في ميدان واحد ؟

**پلمرستون** : أمامهن بيوتهن .

**فلورنس** : نعم ، هذا ان أردن أن يكون لهن بيوت ،  
ولكن لماذا يتحتم على المرأة اذا ما رغبت عن  
الزواج أن تخدم في بيت أمها وتستقبل الأضياف  
أو تعيش عيشة الكسالى وتضيع حياتها سدى؟  
**پلمرستون** : ولكن من المؤكد وجود أشياء أخرى غير ما  
تذكرين .

**فلورنس** : قد تعمل كمرية للأطفال في بعض البيوتات ،  
ولكن لماذا لا يكون لها منهاج مستقل تسلكه في  
حياتها ، وعمل نافع تقوم به .

**پلمرستون** : وهل هناك أمثلة لما تعنين ؟

**فلورنس** : أى شيء ، فهناك القانون والسياسة ، وكذلك

الأعمال التجارية، أو كما في حالتى ، التمريض.

**پلمرستون** : ولم لا ؟

**فلورنس** : وهل أنت جاد ولا تظن أن هذه بلاهة منى ،

أو أن من الخطأ القيام به ، أو أنه غير عملى ؟

**پلمرستون** : لست أدرى من ناحية اشتغال المرأة بالقانون ،

ولا بالسياسة ، ( مبتسما ) ولكنى أظن أن

التمريض أمنية جميلة .

**فلورنس** : ( وقد فاضت سرورا ) : حقا !!

**پلمرستون** : هذا لو أنك أخذت الأمر بمحمل الجد ، ثم

هناك شيان جديران بأن تتذكريهما ، وهما

بسيطان جدا ، وهذا ما يجعلهما يسيان عادة .

يجب أولا ان أردت نوال ما ترجين أن تعدى

نفسك له الى أن يحين الوقت ، والواجب ثانيا

أن تكونى مستعدة لاغتنام الفرصة ، اذا

سنت وأعنى بكلمة مستعدة ، أن تكونى

أهلت نفسك بكل ما هو ضرورى لعملك ، لأن

التحسس بغير استعداد غير مجد. وان لم تكونى

أعددت نفسك ، فالأولى أن تجعلى الفرصة

تقلت منك ثم تنتظرى سنوح غيرها ، وها أنا ذا

مثلا قد انتظرت عشرين عاما وأنا أعمل بالأدارة  
الحرية .

**فلورنس** : ولم هذا ؟

**پلمرستون** : لأنى لم آكن دريت ، ولقد عرض على «سبنسر

پرسیقال» أن آكون وزيرا للخزانة قبل موقعة

وتولو ، أو حتى قبل موقعة استرلتز ، ويرجع

هذا الى زمن بعيد ، يقرب من الأربعين عاما ،

لقد كانت فرصة ذهبية ، أليس كذلك ؟

**فلورنس** : مدهشة ، وكم كان عمرك وقتئذ ، خمس

وعشرون سنة ؟؟

**پلمرستون** : يقرب من هذا .

**فلورنس** : ولماذا لم تغتنمها لو أنك فعلت هذا لكنت قد

شقت طريقك الى القمة .

**پلمرستون** : لم أفعله من أجل هذا الذى ذكرته يا فلورنس ،

اذ ربما كان طريقى الى القمة ، وربما كان الى

حيث يكون القضاء الأخير ، ذلك لأنى لم

آكن دريت بعد .

**فلورنس** : ولكن كان لابد أن يكون معك من يعاونك

فى الوزارة .

**بلمرستون :** لم يكن هؤلاء ليتكلموا عوضا عنى في البرلمان، وما من أحد غير «فكس» أو «بيت» الا وكانت أحاديثه بالبرلمان فى بادىء الأمر سقيمة .

ولقد شغلت مركزا صغيرا بوزارة الحرية ومكثت فيه ، وعرضوا على كل الأنواع المغربية، كأن أكون حاكما عاما للهند ، أو نائبا للملك فى ايرلندا ، ولقد حاول ولى العهد أن يزىن لى الذهاب الى جاميكا ، وبين لى أن فى ذهابى تحقيق آمالى ، ولكن هذا لم يكن ليغير من موقفى ، ولذا بقيت كما أنا حتى أتقنت الشؤون البرلمانية ، كما أصبحت ملما بالأسرار الحكومية ، وبعدها أدركت ، وكنت محقا فيما رأيت ، أن أية حكومة لن تقف كثيرا على قدميها بغيرى ، وهذا هو الوضع اليوم . المران ، انه المران ، وهذا ما يجب أن تفعله الآن .

**فلورنس :** انى أعلم هذا ، وهو ما أريد أن أفعله ، ولقد أردت أن ألتحق بمستشفى « سلسبرى » ولكنهم لم يسمحوا لى ، والتدريب على التمريض لا يكون الا فى المستشفيات . اننى

أتخلص من القيود أحيانا ، فلما كنا في باريس ،  
وكان المفروض أن نجوب متحف اللوفر ،  
كنت ترانى عادة وقد ذهبت الى مستشفيات  
« أخوات الاحسان » ، ولقد تمكنت فى العام  
الماضى وأنا بايطاليا أن أقضى وقتا قصيرا وأنا  
أعمل فى مصحة أحد الأديرة ، كما أمضيت  
ما يقرب من الشهر فى « قيصر ورث » بألمانيا .

**بلمرستون** : ألمانيا ؟ ذلك المكان الذى يقع على نهر الرين ؟  
**فلورنس** : نعم ، وهناك تم مشروع مجيد ، انه عمل جدير  
بالاعجاب ولقد اثبتت فكرته من كوخ بالحديقة  
الخلفية بمنزل أحد القساوسة ، ونما المشروع  
وترعرع ، الى أن أصبح مؤسسة تضم مئات  
الأسرة ، وكان كل هذا لأن الرجل كان يعمل  
وهو مؤمن بفكرته ، فلم يقل « وهل يوافق  
أهل بيتى على هذا ؟ أو « هل يليق بقس أن يقوم  
بمثل هذا العمل ؟ » أو « ألم يكن من الأخرى  
أن أقوم بالوعظ بدلا من اقامة هذا المبنى  
بسواعدى ؟ » ولكنه كان موقنا بما يفعل ،  
ولذا قام بتنفيذه .

ولقد حاول الجميع أن يثبطوا من همته ، وأنا  
أعلم تماما ما قالوه ، اذ قيل لي مثله :  
قال له البعض : « انك تتوقد ذكاء ، وفي  
مقدورك اذا اخترت أن تصبح قوة لها خطرها  
في المجتمع .. انك تضيع وقتك هباء » .  
وقال آخر : « يجب ألا تعمل هذا فهو لا يليق  
برجل الدين ولا يقوم بالنجارة الا العمامة  
الأدنياء » .

وقال آخر : « ليس هذا بالشئ العملى  
يا عزيزى » — ولكنه لم يشعر كل هذا اتباها ،  
ودبرّ المال بعد جهد جهيد واشترى  
الأخشاب ، ثم أقام الكوخ وأدخل فيه رجلا  
رآه فى حاجة الى الرعاية . وانظر الآن ما صار  
عليه المكان ، ذلك لأنه كان ذا عزم وبصيرة .

پلمرستون : حسنا ، والعزيمة لا تنفصك .

فلورنس : وهل تظن هذا ؟

پلمرستون : وما حال الوحي ؟ الرؤيا .. ؟

فلورنس : منذ عشر سنوات .. ولكن لا ، وأظن الأفضل

الا أقول لك شيئا .

ستون : ولم لا ؟

س : قد تفسرها بما لا يرضى ، وربما تقابلها بالسخرية  
منى .

يلمرستون : لن أفضل هذا قطعا .

فلورنس : منذ عشر سنوات ، كنت هنا في هذه الشرفة

ليلا ، وكان الظلام حالكا ، وفجأة تغير شكلها ،  
وخيّل لى أنها صارت أكثر اتساعا ، وكأما قد  
بعدت ، ورأيت النور ينبعث من كل النوافذ ،  
ورأيت فوجا من الناس وهم فى هرج ومرج ،  
وعلى الأبواب الكبيرة يتزاحمون ، وكانوا  
يحملون الى داخل المنزل أشياء كأنها الحشايا  
( المراتب ) ، وكان يسير بين الجموع شخص  
يحمل مصباحا ، وفجأة شعرت أنى أنا حاملة  
المصباح ، وأن المكان فى جهة بعيدة جدا ، وأنه  
مستشفى عظيم ، ثم سمعت صوتا ..

يلمرستون : وهل صدر الصوت من بين الناس ؟

فلورنس : لا ، لقد كان صادرا من قرارة نفسى ، ولقد

سمعته يدوى ، وأدركته بعقلى ، ولقد خاطبنى

وقال لى : « استعدى »

پلمرستون : وهل أخبرت أحدا بذلك ؟  
فلورنسى : حاولت أن أخبرا والذى بطبيعة الحال ، ووطن أن

هذا مستحيل فنأدى والذى ..  
پلمرستون : وماذا حدث ؟

فلورنسى : أعطيتانى جرعة دواء !  
پلمرستون : يبدو لى أن الأمر أشبه بمزيج من التخمه  
والوحى ، أليس كذلك ؟  
فلورنسى : لقد وعدت الا تسخر منى .

پلمرستون : لست أسخر ، ولكننى أحاول أن أخفى عن نفسى  
أنك أثرت على كثير .

فلورنسى : وما معنى كل هذا يا لورد پلمرستون ؟  
پلمرستون : وماذا تظنين أنت ؟

فلورنسى : لست أدرى ، ولم أجد تفسيراً لهذا ، وكنت  
أظن أحيانا أن النعاس غلبنى وحطمت ، وأعجب  
أحيانا وأقول لعل هذا هو « النداء » ينادينى  
لأقوم بما لا يقوى عليه أحد .

پلمرستون : هذا ما يجب أن تؤمن به ، فاتبعيه ، ولكن  
لا تنسى أنه مهما بلغ حسن المقصد فلن يعوض  
عن قلة المعرفة شيئاً ، وأن اغتنام الفرصة

لاشك نصف المعركة ، ولكن القدرة على القيام  
بأعباء العمل هي النصف الآخر .

**فلورنس** : انك تمدني بشيء لم أعهده من أحد قط ، انه

التشجيع ، وكم يشعر الانسان بالوحدة ،  
وتضيق به السبل ، اذا لم يجد من يفهمه .

( ويمد پلمرستون يده اليها فتقبل عليه ،  
وتظهر مسز نيتنجيل بالشرفة ، وعلى  
وجهها ابتسامة رقيقة وهي تنظر اليهما ) .

**پلمرستون** : ( يمسكها بيدها ) : سيرى وتعلمى ، سيرى  
وتعلمى .

**فلورنس** : سأفعل هذا ، وسأكون كالرجال ، وأتحدى عن  
صفات الأطفال .

**مسز نيتنجيل** : عزيزتى فلورنس ، لا تتعبى لورد «پلمرستون»  
بحماسك .

**فلورنس** : ( تتراجع الى الوراء وقد تخلت عن الامساك  
بيده ) سمعا يا والدتى .

**پلمرستون** : لقد كنت على النقيض شغوبا بحديثها .

**مسز نيتنجيل** : ولا شك كان عنصر التسلية ، لأن ابنتى العزيزة

لها قدرة كبيرة على المؤانسة ، والآن هيا ندخل

يا لورد پلمرستون ، وسنلعب الورق .

پلمرستون : نعم ، نعم ، سألعب ، سألعب .

( يدخل المنزل مع مضيفته ) .

فلورنس : ( تلاحظهما وهما يدخلان ) : أنا على حق ، أنا

على حق ، ولا بد أن أكون على حق ، واني

أرى شيئا .. انه لعمل عظيم .. لو منحني الله

القوة ..

( ويظهر « سدنى هربرت » وهي واقفة ،

ويقبل نحوها ) .

هربرت : هل تسمحين ييجيى لأتحدث معك ؟

فلورنس : نعم ، كنت أظن أنك تتناول الشاي معهم .

هربرت : لقد هربت وفكرت أن أتحدث معك عن أمانيك  
العظيمة .

فلورنس : أى نعم .

هربرت : وآمل ألا تتراجعى فيها ولا تهنى ، واني واثق

أن الحق فى جانبك ، وبودى أن أساعدك ..

لو تسمحين لى ..

## فلورنس : ألا ترى أن تتحول في الحقيقة ؟

( يخرجان وتدخل اليزابث هربرت بعد  
خروجهما وتنظر حواليتها بحثا عن سدني  
هربرت ، وتغيب الابتسامة عن ثغرها وهي  
تقطع الشرفة ، وتراها وهما يتواريان عن  
الأنظار ) .

### تنزل الستار

في تلك الليلة التي كان فيها كل شيء  
يبدو منسجما وأطلقا سدا على الدنيا  
مخافة من أن يفتقدوا ما كانا يريدان  
منها ، كانت اليزابث تمشي في  
الشارع الذي كان يربط بين  
الشارع الذي كان يربط بين

## المنظر الثاني

( الشرفة نفسها ، وضوء القمر يسطع ، وترى فلورنس وهي واقفة وحدها بجوار النافورة ، وكاد حديثها الأخير مع لورد پلمرستون أن يصل بها الى اتخاذ قرار عظيم ، ولكن كان لا يزال أمامها نضال ، بدأت أولى جولاته في تلك الآونة داخل سريرتها ، وتبودلت الطلقات في مخيلتها ، وتسمع وهي تنطق بما يجول في خاطرها بهمس مسموع عندما وجدت نفسها بمفردها ، والفرصة سانحة لصفاء الذهن والقضاء على ما به من أفكار متضاربة ) .

فلورنس : لماذا كانت أرواحنا يا الهي عرضة لتضارب الأهواء فلا تستقر على حال ؟ ولماذا لا تكون أغراضنا في اتجاه مستقيم واحد كما تفعل هذه النافورة ؟ اذ نرى ماءها وهو ينساب عاليا كأنه سلسيل فضي ، ثم نراه يعود في رقة وفي هيئة قوس من النور ، أما نحن فلا نستجيب لقوة واحدة تصوغ حياتنا ،

أواه ! ماذا أنا فاعلة بحياتي ؟ وهل حياتي ذات بال ؟

وهل اذا حاولت القيام بعمل عظيم ونبييل يعود  
على البشرية بالخير ، أو اذا تركت النضال  
واستسلمت للحياة العادية وما بها من قيود ،  
كانت النتيجة فى كلا الحالين سواء ؟

وهل أفا عالمة بما أريد ؟

لقد شعرت فى وقت الأصيل وكأنى واثقة مما  
أريد ، ولكنى هنا وفى هذا الضوء الهادى ،  
أجد « الرؤيا » قد احتجبت ، وأرانى أسمع  
صوتا كنت أظنه قد تلاشى منذ أمد ، أسمعه  
وهو يعنى على أنغام الماء وهو يتساقط :

انه يعنى أغنية نعيم الحب ، أغنية راحة القلب  
فى ظل قوة الزوج أغنية الفرحة التى تتجلى عند  
ابتسامه الرضيع فى المهد .

أواه ! انى أومن الآن بهذا الصوت !! .. ولكن  
لا ، لا ! يجب أن أكون قوية ، كيف يقارن حب  
الرجل بخدمة الرب ؟

ولكن الزواج شىء قدسى .. أواه ، انها النافورة  
وقد سحرها جمال الليل ، وأقاصيص الحب  
وما فيها من مسرات ، يجب أن أقوى ..

( يسمع صوت « تريماين » وهو ينادى  
« مس فلورنس » ثم يرى بعدها وهو يدخل  
الحديقة ) .

**تريماين** : وهل أنت بمفردك؟ أحسب أنى سمعت أصواتنا.

**فلورنس** : لقد سمعت صوتى ، كنت أخاطب النافورة ،

انها صديق قديم أقص عليه كل أسرارى .

**تريماين** : وهل تسمح لى كذلك بأن أفضى اليها بأسرارى؟

**فلورنس** : وكن واثقا على الأقل بأنها لن تبوح بها .

**تريماين** : اذن سألجأ اليها وأسألها النصيحة ، وسأخبرها

أن هناك واحدة ، وانها نبيلة وذات أفكار

سامية ، كما انها جميلة بطبيعتها ، ولذا أتهيب

الاقتراب منها .

**فلورنس** : وماذا تعرف عن طبيعتها ؟

**تريماين** : انها تشع من عينيها ، وتتوهج لى محياها كما

تردد فى نبرات صوتها .

**فلورنس** : تقول النافورة ان العيون تخضع ، والوجوه

تكذب ، ولسان المرأة هو الشرك الذى يصيد

البلهاء .

**تريماين** : انه لحكم قاس .

- فلورنس : ولكنه حكيم .. ألا ترى أن ندخل ؟
- تريامين : لم يحن وقت دخولنا بعد .. لقد حاولت طول اليوم أن أفرّد بك .
- فلورنس : وقد حاولت أن أتطاشي ذلك .
- تريامين : ولماذا ؟
- فلورنس : أظنها غريزة المحافظة على النفس .
- تريامين : فلورنس !!
- فلورنس : لا ...
- تريامين : فلورنس ، انى أحبك .
- فلورنس : لا ، أرجوك ، ما قصدت الى هذا .
- تريامين : فلورنس ، أريد أن تتزوجينى .. هل تحبين غيرى ؟
- فلورنس : لا .
- تريامين : اذن ستكونين زوجة لى
- فلورنس : لا أقدر
- تريامين : لا وجود لمثل هذه الكلمات .
- فلورنس : أتت محق لأننى قصدت أن أقول « لا » .
- تريامين : وهل هناك سبب ؟
- فلورنس : نعم .

- ترعاين** : عدم وجود الميل ؟
- فلورنس** : ليس هذا .
- ترعاين** : ألا تحدين في ما يثير اهتمامك ؟
- فلورنس** : أنت تعلم أنني أجد ..
- ترعاين** : ما كنت أعلم ، ولكنني كنت آمل ، آه يا عزيزتي  
 كم أنا سعيد بهذا ، فهل تتزوجيني يا عزيزتي ؟  
 ( ظلت صامتة وهي تنظر الى يديه وهما  
 ممسكتان بيديها )
- ترعاين** : هل تكونين زوجة لي ؟ سأخاطب والدك الليلة .  
 ولن يمانع ، وأنت تعلمين أنني غني جدا .
- فلورنس** : ليس لهذا أى اعتبار .
- ترعاين** : لعل هذا هو رأيك ، ولكنه لن يكون رأى  
 أبنيك .
- فلورنس** : وهل الزواج مساومة في سوق الرقيق ؟
- ترعاين** : فلورنس !! أقصد أنك بزواجي تحصلين على  
 كل ما تشتهين .
- فلورنس** : عدا الحرية .
- ترعاين** : وفيهم تطلبين الحرية يا عزيزتي ؟ وهل يجتمع  
 الزواج والحرية معا ؟ هل في وسعك هذا ؟

**فلورنس** : أما آن للرجال أن يفهموا أن النساء قد يتردن

شيئا غير العواطف والترف ؟ وأنهن يردن أن يكون لهن ما للرجال من الحرية في توجيه أنفسهن واستعمال عقولهن ؟ وانه مهما بلغت رغبتهن في الزواج فانهن يدركن أن هناك أغراضا هي أسمى من الزواج .

**تريماين** : ستبتئك النافورة أنه ليس هناك غرض أسمى من الزواج .

**فلورنس** : نعم ، لقد قالت لى مثل هذا القول منذ دقائق قليلة .

**تريماين** : ولقد قالت الصدق .. انك تعذبن نفسك يا فلورنس بالخيالات والأشباح .

**فلورنس** : لست أفعل هذا ، واني أعتقد أن الحياة بها ما هو أعظم كثيرا من الأمور الجنسية والاستجابة للهوى .

**تريماين** : ألا ترين في الحب أكثر من هذا ؟

**فلورنس** : لا أجد فيه غير هذا ما لم يكن مقرونا بالتضحية

**تريماين** : لست بقادر أن أجاريك في ذكائك ، ولا أريده

ان جوهر المسألة لا يعتمد على التحليل والمنطق

ولكنه يتعلق بالغريزة ، وكل ما أقوله لك  
يا فلورنس هو أنني أحبك .

**فلورنس** : يجب أن أضحي بحبك من أجل عملي .  
**تريمان** : أليس في انجاب أطفال يصيرون من خيرة الرجال  
والنساء عمل نبيل ؟ أليس هذا هو أتيل عمل  
تقوم به المرأة ؟

عجبا ، ألا تصغين لى ؟ سأكرس كل حياتى من  
أجلك ، وسأعمرك بكل ما هو جميل ، وبكل  
ما يسعدك ، وستكونين مالكة زمامى والمهيمنة  
على كل ما أمتلك ، وستصبحين وكأنك ملكة ،  
لأنى أحبك ، لأنى أحبك .

**فلورنس** : ( تتراجع الى الوراء وقد جاهدت للتخلص  
منه ) :

لا يا هنرى ، لا ، لن أستسلم ، ان فى هذا  
ما يشبه الخيانة .

**تريمان** : وماذا تعنين بهذا القول ؟

**فلورنس** : لن يعترف لى هذا ، وقد سمعت النداء !

**تريمان** : كيف .. النداء ؟ لكى تكونى راهبة ؟

**فلورنس** : لا ، انه شىء يأمرنى أن أستعد .

تريمان : أتعين التمريض بالمستشفيات ؟ ولكن ليس هذا بالنداء يا فلورنس ، ليس في هذا شيء من التعقل يا عزيزتي ، بعد سنة من زواجك سوف لا تفكرين في شيء من هذه المرئيات السخيفة ، وسوف تظفي عليها حياة منزلك وحضاتته بما فيهما من بساطة ونظام .

فلورنس : انه نداء يا هنري .

تريمان : نداءك يا فلورنس عقيدة خاطئة ، أما ندائي اليك فهو من صوت الطبيعة ، وهو نداء قديم يرجع عهده الى مبدأ الوجود انه نداء يتردد سماعه في الغابات والسهول ، وبين الجبال وفي الوديان ، وهو أقدم من البشرية وأكثر اتساعا .

فلورنس : ولكنه ليس أكثر علوا .

تريمان : هو أعلى وأكثر عمقا ، فهو أول البشرية ونهايتها ، وهو مبدأ الحياة وغايتها ، انه نداء الجنس .

فلورنس : أستطفك بالله يا هنري ألا تستهويني فتضعف من ارادتي .

تريمان : انك تحيينني .

فلورنس : لا تحاول الغراء جسدي ليتغلب على روحي .

- تريماين : أنت تحبيننى .
- فلورنس : نعم .
- تريماين : وأكثر من أى شىء آخر ؟
- فلورنسى : حبا لا مزيد عليه .
- تريماين : وهل تتزوجيننى يا فلورنس ؟ ( تظل صامته )
- لا تعذبنى يا فلورنس .
- فلورنس : انك أنت الذى تعذبنى .
- تريماين : انى متمسك بما قلت ، انك تحبيننى .
- فلورنس : نعم ، ولكن لتقف عند هذا الحد ، ولا يمكن أن يزيد على ذلك .
- تريماين : سيكون أكثر من هذا ، ستكونين زوجتى يا فلورنس وليس فى مقدورك أن ترفضى .
- فلورنس : لا ، دعنى أذهب ، يجب أن أرفض .
- تريماين : لن ترفضى ، وستكونين زوجة لى .
- فلورنس : لا ، ( وقد عاودتها القوة ) لن أتزوج أبدا ، وأنا مؤمنة بالنداء .
- تريماين : نداؤك يا عزيزتى ما هو الا الصدى الذى

يسخر من تصوراتك ، وما دليلك على أنه نداء؟

فلورنس : لست أدري .

تريمان : لا دليل !! ليس لديك الدليل ، وكيف يكون هناك دليل ؟

( يسود السكون فترة قليلة ) .

فلورنس : ( ظافرة ) : ولكن كان هناك دليل يا «هنرى» ..

والدليل موجود يا هنرى ، قد لا تراه ، ولكنى رأيته .. رأيت الخلائق .

تريمان : ليس هناك خلائق .

فلورنس : هناك أقوام كثيرون يناضلون الموت ، ورأيت

لنفسى بينهم مكانا ، ولقد عاودتني هذه الرؤيا ، يا الهى ، طهر يديّ حتى أقوم بهذا الذى كتبتة علىّ ، وابعث في روحي القوة حتى لا أكل ولا أهن في الاستعداد ، وحتى أثبت أمام الاغراء فأطرحه جانبا .

تريمان : فلورنس !!

فلورنس : .. اقبل منا تضحيتنا يجبنا .

تريمان : لا تقولى هذا يا فلورنس واسجى كلامك .

**فلورنس** : .. كى أكون حرة طليقة فأقوم بهذا العمل ،  
واجعل يا الهى منا صديقين ، وهبنا الشجاعة .  
( تلتفت وتمد يديها اليه ) .  
**تريماين** : ( يمسك يديها ويقبلهما ) : آمين .

### تنزل الستار

## الفصل الثاني المنظر الأول

( غرفة بشارع هارلى (١) ، وهى مؤتثة على نمط ما تكون عليه حجرة المشرف العام لأحد بيوت التمرىض . وكانت « لجنة السيدات » قد فرغت توا من انعقادها وترى فلورنس ، وهى الآن فى الرابعة والثلاثين ، وصارت القوة المحركة لهذه اللجنة ، تراها وقد جلست أمام مكتبها تكتب على بعض الأوراق آخر ما يعن لها ، وكانت « اليزابث هربرت » وقد أصبحت سيدة مليحة ومهوبة تجلس معها .

ولقد أثيرت مناقشات حادة حول ما وصلت اليه الحال فى القرم ، حيث كان الجنود البريطانيون يشتركون فى القتال ) .

**فلورنس** : هيا ، وقعى بامضائك على المحضريا اليزابث .

**اليزابيث** : ( وقد وقعت ) : كيف تهاجمين سدنى يا فلورنس؟

**فلورنس** : حكمى عقلك يا عزيزتى اليزابث ، فلن ينسب

أحد ما فى القرم من فوضى الى خطأ وقع من

سدنى .

---

(١) شارع هارلى يعتبر منذ أمد طويل مركزا المهنة الطب

فى لندن .

- اليزابيث** : انه الوزير المسئول .
- فلورنس** : لا ، إن المسئول هو دوق نيوكاسل ، ولو بحثت عن الحقيقة لوجدت المسئول أولاً وأخيراً هي الادارة الطيبة الحربية .
- اليزابيث** : ان النقد من أسهل الأمور .
- فلورنس** : اني أعلم هذا ، وأنا لا أريد النقد ، ولكني أريد أن أعمل شيئاً .
- اليزابيث** : وماذا في مقدورك أن تعمله يا عزيزتي فلورنس ؟
- فلورنس** : أود أن أكون ممرضة .
- اليزابيث** : ولكن الممرضات لا يسمح لهن بالانخراط في سلك الجيش .
- فلورنس** : لقد اقترحت على « ليدى مريا فورستر » أن أكون فرقة صغيرة من الممرضات ، على أن تكون النفقات مناصفة بيننا ، ولا تتحمل الدولة شيئاً .
- اليزابيث** : أتعنين أنك تتركيننا هنا ؟ عجباً يا عزيزتي فلورنس ! اني أراك غير عملية ، وأرى أن والدتك لم تخطيء في رأيها عنك .
- فلورنس** : لن أتركك هنا بطبيعة الحال ما دمت متمسكة

بى ، لم أتر هذه المسألة صباح اليوم ، لأنى  
أردت أن أتحدث معك أولا بشأنها .

**اليزابيث** : نعم أعلم ذلك ، وانه لعظيم منك أن تفكرى فى  
هذا يا عزيزتى فلورنس ، ولكن ألا يكون عجيبا  
أن تذهبى الى « اسكوتارى » وليس معك  
الا مرضتان فقط ؟ وماذا يقول أهل بيتك ؟  
وهل يسمحون بذلك ؟

**فلورنس** : لا أعتقد هذا ، ولكنى أظن أنى لن أجعل لهم  
مجالا للتدخل .

**اليزابيث** : لاجدوى من المناقشة يا عزيزتى ما دمت قد  
عقدت العزم مقدما بالفعل .

**فلورنس** : ولكنى أتوق لمعرفة رأى مستر هربرت .

**اليزابيث** : سدننى ؟ أنت تعلمين من هو سدننى ، وتعلمين  
كيف هو معجب بعملك ، وسوف يوافق بطبيعة  
الحال ، وبودى أن أوافق كذلك يا فلورنس ،  
ولكن يظيل لى أن كل شىء يكتنفه الغموض .

**فلورنس** : نعم ولكنك تعلمين أن الشىء الذى يؤدى لأول  
مرة يكون فيه شىء من الغموض فى مبدأ الأمر .

**اليزابيث** : انى أوجس خيفة ولست أدرى لماذا . انه

مشروع جميل حقا ، وأنت جديرة بتنفيذه ،  
ولكنى رغم هذا متخوفة ، ولولا حبي لك  
وتقتى العظيمة فيك ، لأخبرت سدنى لينفض  
يده منه .

**فلورنس** : عجباً ، ولماذا ؟

**اليزابيث** : لو كنت أعلم لماذا لعرفت كيف أتصرف .

**فلورنس** : ولكن لا تجعلى مشاعرك الخاصة تعترض طريقى ..

**اليزابيث** : أنا امرأة ولست بقديسة مثلك ، ولو أنى ظننت

أن هذا سيلحق بسدنى أذى ، لاعترضت ،  
وما كنت لأهتم بأحد ، ولا بالأهداف السامية ،  
ولا بالمثل ، ولا بأى شيء .

**فلورنس** : حسناً ، لن يضار « سدنى » فى شيء إذا ذهبت

الى القرم ، وهذا من بواعث راحتى .

**اليزابيث** : لا .. لست أدرى .. ولكنى قلقة حيال هذا  
الأمر ..

( وتدخل مسز نيتنجيل . )

مسز نيتنجيل : فلورنس .. ما هذا السخف الذى أسمعته ،

هذا مستحيل يا عزيزتى .

**فلورنس** : ليس هذا مستحيلا بحال .  
**مسز نيتنجيل**: ولكنه مستحيل يا عزيزتي كل الاستحالة ، واني  
لأعجب كيف تنتظرين منا أن نوافق على ذهابكن  
الى حرب ولا وافي لكن ؟ واعلمي أن البقاء  
في معسكر الجند ليس كالجلوس في حجرة  
استقبال ، لا شك انك تواقفيني يا مسز  
هربرت ، أليس كذلك ؟

**اليزابيث** : نعم ، ولكن ليس لي أن أتدخل .  
**فلورنس** : اذا كانوا أهلا للقتال ، فهم أهل كذلك لأن  
يتعنى بهم .

**مسز نيتنجيل**: يا الهي !! أرضين لنفسك الاقياد لما تنشره  
الصحف من عبارات مثيرة ؟

**فلورنس** : حالة الجرحى بالقرم يا أمي ، لم تكن وليدة  
اثارة الصحف .

**مسز نيتنجيل**: وما دخلك أنت ؟ متى أصبحت في مصاف  
الالهة ؟ لان هذا لا يليق يا عزيزتي فلورنس ،  
ولست أدري من أين جئت به .

**فلورنس** : وددت لو أن الناس ينظرون أحيانا بعيني .

**مسز نيتنجيل**: يجب أن تعترف يا عزيزتي فلورنس أني ووالدك

قد راعينا شعورك وسمحنا لك بالمجيء هنا ،  
ولقد أعطاك أبوك دخلك كما لو كنت من  
الذكور ، وليس من العدل أن يكون جزاءنا  
طلبك الذهاب ومعك مرضتان تجئين بهما  
حيثما اتفق ، وتذهين بهما الى آسيا الصغرى  
ومن المحتمل جدا أنك ستخطفن عنوة وقسرا  
وتقاسين ما لا يحتمل من الأهوال ، وما من  
فتاة انجليزية تقوم بمثل هذا العمل .

**فلورنس** : ولكن البنات الفرنسيات يقمن به ، وأمامك  
« أخوات الاحسان » .

**هسز نيتنجيل** : ولكن هذا يختلف تمام الاختلاف فهن راهبات .  
**فلورنس** : حسنا ، وأظن من السهل اختطاف الراهبة كما  
تختطف الممرضة .

**هسز نيتنجيل** : هناك اختلاف كبير ، وما أنا بقادرة على أن  
أوضح السبب ، ولكنه هو الحقيقة بعينها .  
وأنت يا عزيزتي غير عملية بالمرّة .

« حدى الممرضات » : لقد أقبل سيد يدعى « تريمان » .

**فلورنس** : أرجو أن تسمحن له بالدخول .

**هسز نيتنجيل** : أراك الآن أكثر اتزانًا يا فلورنس ، يا له من

عزيز .. يجب أن تترك لكما المجال لتتحدثا ..  
وانه لجيد حقا أن يأتي بعد تلك الطريقة التي  
عاملته بها .

**فلورنس** : هنري تريمين وأنا .. صديقان يا أمي .  
**مسز نيتنجيل**: نعم يا عزيزتي ، وليس هناك ما يمنع استمرار  
صداقتكما اذن .. ( تنتظر فترة ) أنا واثقة أنني  
ووالدك صديقان حميان .. وقد يكون الأمر  
أكثر تعقلا لو ..

على أنى لن أزيدك شيئا على هذا الآن .  
وانى أود شراء بعض الطوايع فهل تأتين معي  
يا اليزابث الى مكتب البريد ؟

**فلورنس** : ثم تعودين يا اليزابث ، أليس كذلك ؟ ان أمامنا  
عملا وأود أن أتحدث اليك .

**اليزابث** : نعم ، سأعود ، واجتهدى يا عزيزتي أن تستجيبى  
لما تريده أمك .

( وتخرج مسز نيتنجيل ومعها اليزابث ،  
وتدق فلورنس الجرس ، ثم يدخل هنري  
تريمين ، ولم يكن مرور ست سنوات ليغير  
منه كثيرا ) .

- فلورنس** : أهلا هنرى ، أنا سعيدة لرؤيتك .
- تريمان** : لم أراك منذ سنة تقريبا .. لقد كنت دائم الترحال .
- فلورنس** : ما أجملها من تسلية !! وأين ؟
- تريمان** : بالصحراء .
- فلورنس** : ما أمتعها ، ولكن أغلب الظن انها تشعرك بالوحدة ..
- تريمان** : الأماكن كلها عندي سواء ما ذام المرء يهرب مما ليس فى وسعه الحصول عليه .
- فلورنس** : أراك يا هنرى تتكلم كالتلميذ الذى أضناه الحب ، ولا بد أنك قاربت الأربعين ، وأنا يا عزيزى قد بلغت الرابعة والثلاثين .
- تريمان** : وهل أنت سعيدة ؟
- فلورنس** : أنا مشغولة ، وهذا أحسن بكثير
- تريمان** : فلورنس ، لم أقل لك كلمة عن الزواج منذ تلك الليلة التى كنا فيها بجوار النافورة ، وطلبت منى أن أكون صديقا ، وقد حاولت أن أكونه ، حاولت ذلك ما يقرب من ست سنوات .

**فلورنس** : لقد كنت مذهشا حقا ، ولقد كانت رسائلك  
نعم العون لى ، كما أن زيارتك أمدتني بالقوة  
دائما ، فهل تريد الآن أن تغير كل هذا وتعكر  
صفو صداقتنا ؟

**تريماين** : ولكنى انتظرت ست سنوات من أجل «الرؤيا»  
كما تسمينها حتى تصبح حقيقة . هل تريدني أن  
تدخلنى فى روعى أن هذا الذى تقومين به هو  
طريق الحياة الذى طلب منك أن تسلكيه ؟

**فلورنس** : لا تهزأ بى يا هنرى ، انها بداية على الأقل ،  
والأفضل أن نعمل حتى ولو كان العمل  
فى مثل ما يحيط بنا من قيود ، بدل التسكع فى  
لندن ، والتشاؤب ، وزيارة الغير من السيدات  
المترفات على غير موعد ، أو الصياكة وضياع  
الوقت .

**تريماين** : لم أقل هذا ، ولكن لا جدوى مما تعملين .

**فلورنس** : لا أعتقد هذا ، انى أحاول الذهاب الى القمر

**تريماين** : كيف ؟

**فلورنس** : كمرضة .

**تريماين** : ولكن ليس هناك ممرضات يافلورنس .

- فلورنس** : نعم ، ولأكن أنا المريضة ، وأظن أن بوسعى أن أدير المال وأأخذ معى اثنتين .
- تريماين** : ما هذا ؟ بصفتك الشخصية ؟؟
- فلورنس** : ولم لا ؟
- تريماين** : لم لا ؟ ما سمعت فكرة أكثر من هذه شذوذا ، لن يكون لك أى مركز هناك ، وهل تظنين أن المسئولين من رجال الجيش يسمحون للمدنيين من غير الموظفين أن يتدخلوا فى شئون مستشفياتهم ؟ انهم لن يسمحوا بذلك لأنهم يخضعون للنظم الحربية ، ولذا فالأمر سخيـف .
- فلورنس** : ولكن سوف تزود بخطابات تتقدم بها الى السفارة .
- تريماين** : نعم ، بالأستانة ، ولكنها ليست مكان القتال .
- فلورنس** : ولكن « اسكوتارى » حيث توجد المستشفيات ضاحية من ضواحي الأستانة .
- تريماين** : ولكنها تحت الادارة الحربية وليس للسفير أى نفوذ هناك ولو فرض أن له هذا النفوذ ، فهل تظنين أنه يستغله ؟
- فلورنس** : ولكن الحكومة ستزيد من نفوذه .

تريمان

: ولكنه ان يتخطى المسؤولين العسكريين ، واذا

كان هذا في مقدوره ، فلن يفعله من أجل سيدة  
لا يعرفها ؟ واني مخبرك بما سيفعله تماما ، —  
سيطلب الى زوجته أن تدعوك الى تناول الشاي  
بعد الظهر ، كما تدعوك الى حفلة مسائية أو  
حفلتين ، وسيقابلك الجميع بالبشر والابتهاج  
الى أن تحاولي عمل شيء ، وعندئذ يتجهم لك  
الجميع ، وتعرضك الصعاب من كل الجهات ،  
وستجدين نفسك أينما ذهبت في مواجهة موظف  
يتجهم لك ويسد الطريق . لا تفكري في هذا  
يا فلورنس ، واقبلي النصح يا عزيزتي ،  
وتذكرى أنني قضيت بالسلك السياسي ثلاث  
سنوات ، والمصالح الحكومية العامة لا تشجع  
الهواة ، وبخاصة من كان يعتقد منهم أنه ملم  
بالعمل ويعرف طريقة ادائه .

فلورنسي

: هذا لا يهمني ، واني أومن ايمانا صادقا في

« النداء » الذي يناديني كي أعمل ( فترة  
سكون ) هل تشك في هذا يا هنري ؟

تريمان

: حسنا .. فكري قليلا ، انك قد قضيت زهرة

العمر وأنت تجرين وراء الخيالات ، ولقد  
أضيت نفسك بالذهاب من مستشفى الى آخره  
وما النتيجة ؟

فلورنس : لقد تعلمت .

تريماين : ولكنك تعلمين أن هناك مئات من السيدات  
يقدرن مثلك على ادارة هذا المكان .

فلورنس : ليس هذا هو العمل الذى أصبو اليه ، ولكنه  
خطوة لها ما بعدها .

تريماين : حسنا ، ولتكن الخطوة الأولى ، ودعيني أعاونك .

فلورنس : كيف ؟

تريماين : سأبين لك ، اختارى المكان ، وسأبني لك  
مستشفى صغيرا ، وسيكون على نسق مستشفى  
« قيصر ورث » الذى ذهب اليه فى ألمانيا ، وفى  
هذا تحقيق لأحلامك ، وسنقوم بالعمل معا ،  
وخذيه عهدا علىّ بأننا سنتكاتف حتى يتم  
انشاؤه وستكونين المهيمنة عليه ، وسنكرس  
حياتنا للعمل .

فلورنس : ولكن العمل الذى أنشده لا يمكن لامرأة  
متزوجة أن تقوم به فى أوقات فراغها .

تريمان : انى لأعجب ويساورنى الشك أحيانا فى وجود

أى مشاعر لديك .

فلورنس : ليس هذا من العدل ؟

تريمان : انك تقابلين كل ما أقوله بأعذار مسبوكة

الحيك .

فلورنس : وهل تظن أنه من السهل أن أقول « لا » ؟ وهل

تظن أنى لا أتألم ؟ ألا تدرك أننى .. ولكن هل

من سبيل أحاول بها تفهيم الرجال ؟

تريمان : لست أدرى يا عزيزتى ماذا أقول ، ولست أريد

أن أتقل عليك بكلمات الاعراء ، ولكن ..

فلورنس : ولن أجعلك تفعل ذلك يا هنرى .

تريمان : وهل أنت واثقة من نفسك ؟

فلورنس : كل الثقة ، وهل تظن أنى أقول هذا القول

ان كنت غير واثقة ؟

تريمان : حسنا ، ولا تضربى بفكرتى عرض الحائط ،

وفكرى فى الأمر قليلا ، وستكونين بهذا

سعيدة ، وستسعدين بهذا والديك كما

تسعدينى .

فلورنس : وماذا يكون حال الجرحى بالقرم ؟ أتظن أنهم

سيسعدون ؟

**تريمان** : أمر العناية بهم موكول الى الحكومة ، فهو عملها وليس عمك .

**فلورنس** : هذا ما يقوله الجميع ، ولكن الموت يحصد أرواح هؤلاء الجرحى دائما نتيجة الإهمال .

**تريمان** : وأى عمل جليل تظنين يا فلورنس أن تقوم به سيدة هناك ، بين الدماء ودخان الحرب ؟ وهذا كلام الجنود أنفسهم .

**فلورنس** : ولكنى أعتقد مع كل هذا أن الوقت قد حان ، وأن العمل الذى فرض علىّ وجب أدائه .

**تريمان** : وما دمت قد قررت المجازفة والعناد .. فخبيرنى يا عزيزتى كيف تبدئين ؟

**فلورنس** : ( ببساطة ) سيدلوننى على الطريقة .

**احدى الممرضات** : بؤسفى أن أقطع حديثكما ، لأن مستر « سدنى هيربرت » قد حضر ومعه سيدان ، والأمر هام .

**فلورنس** : نعم ويجب أن أقابلهم يا هنرى ، وزوجته عضو باللجنة معى ، وهو شديد الاهتمام بالمشروع ، وأظنه قد أتى بالجراح الجديد ، — نعم دعهم يدخلون .

تريمان : فلاذهب أنا ، وأرجو أن تفكرى فى مشروع  
المستشفى .

فلورنس : لا يا هنرى ، انى آسفة .

تريمان : وداعا ، ولا أظن أنى سأراك .. قبل أمد بعيد .

فلورنس : هل ستسافر ثانية ؟

تريمان : نعم .

فلورنس : فى رحلة ؟

تريمان : أشبه بهذا .

فلورنس : وماذا تكون تلك يا هنرى ؟ أنت لا تنوى ..

( ويقطع الحديث دخول هربرت ،

ويلمرستون ، ومن ورائهما الدكتور

« سمث » وهو فى أواسط العمر ، ويدل

مظهره على أنه أحد المسئولين ، وتستدير

فلورنس وترحب بهم قائلة ) :

فلورنس : مستر هربرت ! لورد يلمرستون !

يلمرستون : يسرنى أن أراك تبارين لتحقيق أمنيتك :

فلورنس : نعم ، وعملنا شاق هنا ، أليس كذلك يا مستر

هربرت ؟

هربرت : ان اليزابث لا تمل التغنى بمديتك .

( تريمان يقادر الحجرة أثناء الحديث ) .

- فلورنس : وهل جئت للتفتيش ؟
- هربرت : لا ، ولكن لتحدث معك .
- پلمرستون : هل تتابعين أحداث الحرب ؟
- فلورنس : نعم ، كما تأتي بها الصحف .
- پلمرستون : وهل قرأت مقالات التيمز ؟
- فلورنسي : نعم ، أظن أنها مبالغ فيها ؟
- پلمرستون : لست متأكدا من هذا ، ولا بد أن يكون لها أساس .
- فلورنس : ولماذا إذن لا تبعث بمرضات ؟ لقد قام الفرنسيون بهذا ، وقد ذهب كل صديقاتي بجمعية « أخوات الاحسان » من باريس الى هناك .
- هربرت : هذا ما نريد التكلم فيه .
- فلورنس : لقد اقترحت ليدي « ماريلا فورستر » أن أقوم معها بالعمل ، وأظنك تعلم عنه يا لورد پلمرستون ، ولقد قالت لي انك كنت ستكتب الى السفير بشأنه .
- پلمرستون : نعم ، ولكن قد لا يكون هذا ضروريا ، والحق

انى لا أرى أن مشروع ليدى «ماريا» مشروع  
عملى .

فلورنس : كل الناس يتحدثون عما هو « عملى » ،  
والجرحى يموتون فى نفس الوقت نتيجة  
الاهمال .

هربرت : انتظرى .

فلورنس : ولكن هل ستفعل الحكومة شيئا ؟

هربرت : نعم ، بطبيعة الحال ، ويجب أن أوضح لك ،  
ان هذا السيد الذى معنا هو الدكتور « اندرو  
سمت » وهو مدير مصلحة الخدمات الطبية  
بالجيش .

فلورنس : حسنا ، تشرفنا .

سمت : تشرفنا .

هربرت : لقد قررت الحكومة ألا يترك الأمر الى أريحية  
الأفراد وتفكيرهم . فهو شئ جديد على الجيش ،  
ولكننا عزمنا على تنظيم هيئة من الممرضات ،  
نبعث بها الى المستشفيات بالقاعدة الحربية .

فلورنس : انه قرار جميل حقا .

هربرت : لا شك فى ذلك ، ولكن الصعوبات جنسية

لأننا سنبدأ كل شيء من جديد ، ونحن في حاجة الى مغفوتك ، وسنيوافيك الدكتور « سمث » بالتفصيلات .

**فلورنس** : حسنا ، ولا شك أنكم تطوبون منى أن أخبركم من أين أجيء بالمرضات .

**يلمرستون** : لا ، قد لا يكون مستوى المعرفة بمجلس الوزراء عاليا ، ولكننا على الأقل قادرين على ايجاد المرضات . على أن الذى تجهله حقا - اذا لم نجد منك عوناً - هو أين نجد العقل المنظم المبتكر الذى يأتى بالنتائج .

**هربرت** : اننا نريد سيدة مجرية وذات خلق محمود ، ومؤهلات ممتازة لتصحب المرضات الى قاعدة الحرب ، فتذهب بهن وتعيد تنظيم كل الادارة بالمستشفيات .

**فلورنس** : أنا ؟

**يلمرستون** : نعم أنت ، فما قولك اذن ؟

**سمث** : لا جدال أن هذا واجب ليس من السهل أدائه ، اذا لا أمل لسيدة أن تحقق الكثير فى شيء كان ..

من الصعب على الهيئة الطبية وما لديها من موارد  
في الإدارة الحربية أن تؤديه .

**فلورنس** : في الواقع ، لو أنها ابتدأت وهي بهذه الروح  
فلا أمل لها في تحقيق الكثير .

**هربرت** : لقد كان الدكتور « سمث » محقا عندما أبان  
الصعوبات .

**فلورنس** : ولكنه كان مخطئا في الرضوخ إليها .

**يلمرستون** : مخطيء تماما ، والموقف يا مس نيتنجيل يتلخص

في الآتي ، ولنكن أمناء في القول :

لم تكن قيادة الحرب على ما ينبغي ، ولكن ليس  
من الصواب أن نعود باللائمة على أشخاص ،  
وأهم شيء نقوم به الآن هو تصحيح الأوضاع ،  
وهناك مسائل كثيرة يراد التغلب عليها ، ولكني  
قررت مع هربرت ، أن أهم ما نقوم به هو القضاء  
على الفساد في الجيش ، والمسألة لا تقتصر على  
مجرد التمريض ، ولكن المراد هو فحص الجهاز  
الطبي ، وطرق التمرين بأكملها ، وذلك بعقلية  
جديدة قوية ، تكون لها خبرة بإدارة  
المستشفيات ، وقد وجدك هربرت خير من يقوم

بهذا ، وأنا أوافق ، وما نراه سوف يقره مجلس

الوزراء ، فهل توافقين ؟

**فلورنس** : وهل أجمعت لرادتكما عن عقيدة على أن يناط  
بى هذا العمل ، مهما تكشف لى من خباياه ،  
ومهما وجدت من ضروريات ، ومهما كان لى من  
مطالب ، وعلى أن تكون لى كامل السلطة على  
المرضات ؟

**سمث** : وأظن أن الأمر استشارى فى أساسه ، وبطبيعة  
الحال ستكون الأوضاع الراهنة باقية فيما يتصل  
بسلطة مديرى الهيئة الطبية العامين .

**بلمرستون** : انك تضيع الوقت يا دكتور سمث .

**فلورنس** : ولكن هذا فى غاية الأهمية ، فكيف يكون  
مركزى ؟ ومن المسئول ؟

**هربوت** : ستكونين مسئولة أمام الوزير ، وسيكون  
اتصالك به مباشرة ، ولكن لورد « راجلان »  
بطبيعة الحال هو القائد الأعلى ، ولذا يجب  
التعاون مع أطبائه العسكريين .

**فلورنس** : هذا طيبى ، ولكن كيف يكون الحال مع  
المرضات ؟

پلمرستون : ستكونين المهيمنة عليهن في كل الأمور ، والآن  
ماذا تقولين ؟

( ويقطع الحديث دخول مسز نيتنجيل  
واليزبث ، ولم تكن فلورنس قد نطقت  
بالجواب ) .

مسز نيتنجيل: استميحك العفو يا عزيزي اللورد بالمرستون ،  
وما أجملها من فرصة أن أراك أنت ومستر  
هربرت !!

هربرت : أسمح بأني أقدم لك مسز نيتنجيل يا دكتور  
سمث ، وأنت تعرف زوجتي بطبيعة الحال ؟

فلورنس : أظن من الواجب أن تسأل والدي يا لورد  
پلمرستون .

مسز نيتنجيل: ما هذا يا فلورنس ؟ هل هي دعوة لوليمة ؟

فلورنس : ... أظن أن بالامكان تسميتها كذلك .

مسز نيتنجيل: حسنا ، ولقد برهنت بهذا على انك مطيعة حقا  
يا عزيزتي ، غير أنني أظن أنك قد بلغت من العمر  
ما يجعلك تقررین بنفسك ما تريدین في أمر  
بسيط كهذا .

پلمرستون : يحسن أن نوضح الأمر يا هربرت .

**هربرت** : ان الحكومة تريد يا مسز نيتنجيل أن تذهب

فلورنس الى القرم لتشرف على المستشفيات .

**مسز نيتنجيل**: لتذهب الى الحرب !! فلورنس !! الحكومة !!

**يلمرستون** : نعم ، مجلس الوزراء ، ونحن هنا بصفة رسمية.

**مسز نيتنجيل**: ولكن .. هل تقوى هي على ذلك ؟

**هربرت** : ليس هناك غيرها من هو أقدر منها .

**اليزابيث** : ( تردد الكلام همسا ) : ليس هناك غيرها في

العالم .

( فترة سكون قصيرة )

**مسز نيتنجيل**: ( تلتفت نحو فلورنس وقد كنت أنفاسها في

كبرياء ودهشة ) : عزيزتي ، لقد كانت حماقة منا

حقا أن نجهل قدرك ، وانك فخورة بك

يا عزيزتي ، ونست أدري كيف أشكر ربي ...

**فلورنس** : ( تجرى نحوها وتقبلها ) : أمي ، حبيتي ...

( فترة سكون قصيرة )

( وتمد من قامتها ، وتطوق أمها بذراعيها

وتقول في بساطة : - سادتي ، سأعمل

ماتريدون )

تنزلي السناد

## المفطر الثاني

حجرة صغيرة بالطابق الأرضي في مستشفى « نكتة برج الأخوات » باسكوتاري والوقت في إحدى أمسيات الشتاء الباردة، وترى « سلينا بريس بردج » بجوار منضدة صغيرة وهي تقوم بعمل الحسابات ، كما يرى الأونباشي « جونز » وهو أحد المكلفين بالخدمة في المستشفى ، منهكاً في حل ربطة كبيرة ، وتصنيف وعدد ما تحويه من ملابس صوفية ويدخل في العنبر جراح بالجيش وهو يسرع وعليه مسحة من الغم ، ثم يتوقف برهة عندما لا يجد فلورنس .

**الجراح** : أين السيدة الرئيسة يا مسز ( بريس بردج ) ؟  
**سلينا** : لقد نزلت إلى المخازن عند ضابط الامدادات كي تحصل على قليل من البطاطين للجرحى الجدد الذين وصلوا اليوم .

**الجراح** : انه لغار وأى غار ، لا أكاد أحصل على أبسط الاحتياجات الطبية ، ويبدو لي أنهم يظنون في انجلترا أن كل الذي نحتاج اليه في المستشفى العسكري هو ربط من الدبايس .

الأونباشى : زائد خمسة تصير ثمانية وأربعين ، ونضيف  
اثنين تصير خمسين .

( وينتظر ليحزمها فى ربطة وهو مبتهج ) .

غفوا يا سيدى ، وانظر لترى أن كل هذا شيء  
جديد عليك وانك لم تحضر هنا الا من حوالى  
شهر .

الجراح : ( محتدا ) جديد على ؟ نعم ، ولكن شهرا واحدا  
لا يكفى لاكتشاف عدم الكفاية فى العمل .

الأونباشى : ( همسا ) عدم الكفاية ! مدنيون فى زى رسمى !  
وماذا يعرف المدني عن الجيش ؟

الجراح : ما هذا ؟

الأونباشى : لا شيء يا سيدى ، لا شيء ، لم أقل الا أن  
المدنيين بطبيعة الحال يرون الأشياء من ناحية  
أخرى . غفوا يا سيدى ، انك مدنى ، أليس  
كذلك ؟

الجراح : هذه وقاحة منك لا أريدها .

الأونباشى : لا يا سيدى .

الجراح : هناك تقص فى الأربطة مرة أخرى يا مسز «برس

برديج» وليس لدينا مظهرات قطعيا ، وليس عند  
المرضى الجدد أى أمتعة ، ومعذرة ان قلت انهم  
أمروا أن يتركوا أمتعتهم فى بلغاريا ، فليس لديهم  
ملاعق ولا شوكة ولا قمصان ولا جوارب  
ولا شئ غير ما عليهم من الثياب . وما كنت  
لأصدق أبدا أن تصل الحالة الى هذه الدرجة  
من الفوضى ( ثم يخاطب الأونباشى ) : ها هى  
ذى القمصان ، انى أريد تلك القمصان .

**الأونباشى** : احترس يا سيدى ، أرجوك الاحتراس ، فالأرقام  
المكتوبة على الربط غير صحيحة ، ولا بد من  
عدها أولا ، وها هو ذا العدد ينقص واحدا  
يا مسز « بريس برديج » فيصير النقص أربعة -

**الجراح** : لا ضير فى هذا ، وكم أحصيت ؟

**الأونباشى** : مائة وسبعة وثمانون ، وكان الواجب أن تكون  
مائتين .

**الجراح** : ( يلتفت الى « سلينا » ) اعطينى خمسين من هذه  
للعنبر ( ب ) .

**سلينا** : كل ما أرجوه أن تكتب لى ايصالا بالتسلم .

**الجراح** : شكرا - وأنت : ديكم أية ضمادات ؟

ان تلك الجرا- مخيفة .

**سلينا** : ها هي ذى ( ج ربطتين من صوان

وتحضرهما له )

**الجراح** : انه لشيء مذهس ن مس نيتنجيل عبقرية حقا

وتستحق أن يقام لها تمثال ، واني جاد وأعنى

ما أقول ..

**سلينا** : ولكن كبير الجراحين لا يرى هذا .

**الجراح** : كبير الجراحين أحمق لا يفهم شيئا ولا يعمل عملا

الا أن يكتب التقارير الكبيرة ، ويتكر

استثمارات فسيحة كي يملأها الأطباء

المكثودون ، وأما الطب فكأنه لعبة داخل حجرة

للاستقبال ، يا للحقارة !!

( ويسرع بالخروج بما حصل عليه ، عندما

أقبلت ممرضة وعليها أمارات الانزعاج )

**سلينا** : حسنا ، ما وراءك يا مسز وليمز ؟

**مسز وليمز** : المطلوب : مئتان وسبعون وجية بيض اضافية ،

فمن أين تأتي بها ؟

**سلينا** : وماذا يقولون في المخازن ؟

**مسز وليمز :** كما هـ  
تأسف وليس لدينا بيض .  
**الأونباشي :** ذلك لاه  
- الطيبة مغسورة بالقنابل  
والرصاصة  
ملا عربات القطارات ، حتى  
يظن الناس  
أارة الحرية تتخيل أن الجراح  
يشفيها البار ، وأن المدافع تبعاً بالنييد  
والبيض المحفوظ .

**سلينا :** ليس في هذا ما يستوجب المزاح .  
**الأونباشي :** نسأل الله الرحمة يا سيدتي ، لأنك ان نظرت الى  
الأمر بوزارة الحرية البريطانية نظرة جدية ،  
لمت من الحسرة .

**سلينا :** انهم يبذلون ما في وسعهم للإصلاح ، ولقد قال  
هذا مستر هربرت بنفسه ، وهو عهد قد قطعه  
على نفسه باسم الحكومة .

**الأونباشي :** نعم ، ولكن هذا هو موضع الخطأ عندكم ، ومن  
يكون مستر هربرت عند الجاويش الذي يخرج  
ما بالمخازن ؟ انه لا يهتم الا بضابط الامدادات ،  
وبالقائد الحربي ، وكل ما يهمهم هو الخزينة  
ووزارة الحرية .

**سلينا :** ولكن هذا يساعدنا في الحصول على البيض ،

أليس كذلك ؟ ولدينا منه عدد قليل في دولاب  
المخزن ، ولكن مس نيتتجيل تريد أن يحتفظ به  
احتياطيا للحالات شديدة الخطورة ، ألا تظن  
يا جونز أن ضابط الامدادات التعس لديه بعض  
البيض بالمخزن ؟ انه لا يعرف قط ما لديه من  
أشياء .

**الأونباشي** : لا أنكر اني أعرف أن هناك بيضا بالمخزن ..  
( سلينا تكتب مذكرة بذلك )

ولكنك تعلمين أن ضابط الامدادات لا يخرج  
ما بصناديق المخزن الا بناء عن قرار من المجلس ،  
وان هو فعل غير هذا أصبح مسئولا عن دفع  
ثمن الشيء ولن ينعقد المجلس حتى الأسبوع  
القادم .

**سلينا** : عجبا ! عجبا ! أليس الرجال كالأطفال ؟ ألا يعلم  
الناس أن هناك حربا قائمة ؟

**فلورنس** : ( صوت من الخارج ) : لا ، لا ، يا مستر  
« بامفورد » أرجو أن تنتهي من هذا الآن .

**سلينا** : حسنا يا مسز وليمز ، سأرى ماذا يمكنني أن  
أعمله .

**فلورنس** : (تظهر بالباب) : ادخل .

( بامفورد وهو ضابط الامدادات  
باسكوتارى، رجل كهل بدين، يبدو حقوداً  
يتبعها وهو غير راض ) .

اجلسى يا سليتنا، هل لك أن تعطينى حسابات  
المشريات ، لأرى ما زودت به المستشفى ؟

**سليتنا** : نعم ، ها هي ذى عندى .

**بامفورد** : ولكن لا شأن لى بهذا يا مس نيتنجيل ، وان  
أنت اخترت أن تصرفى من مالك الخاص بدلا من  
الحضور الى مخزنى فلا تنتظرى أن ترد لك  
الخزينة هذا المبلغ .

**فلورنس** : عندما أقترح رد المبلغ يا مستر بامفورد فحينئذ  
يكون لك الحق فى التحدث عن ذلك ، وأما  
ما يختص بمخزنتك فدعنى أسألك هل تعرف كم  
وصلنى منه منذ حضورى الى هنا ؟ لا شىء ،  
ولكن مهلا ، لقد وصلنا متنا رداء من أردية  
المستشفى فى الشهر الماضى . وهل تعرف كم مرة  
طلبت ؟ انظر الى هذه القائمة : « غير موجود

بالمخزن « غير موجود بالمخزن » ... وكلها  
ممهورة بتوقيعات كاتبك ، أليس كذلك ؟

يامفوردي

: قد يكون ...

فلورنسي : أتدرى كم قطعة غسّلت لهذا المستشفى في  
الشهر السابق لوصولي ؟ انها سنت ! وهذا هو  
صميم عملك ، أليس كذلك ؟

يامفوردي

: لقد خذني المتعهد .

فلورنسي : اذن أنت قصرت في اشرافك عليه ، فأنا أتعامل  
مع نفس المتعهد .

يامفوردي

: لدى أعمال أخرى غير ملاحظة الغسالات وهن  
يغسلن .

فلورنسي

: ومما يؤسف له أنك لم تهم بغسل بعضها ،  
والمفروض أنك تموّن هذا المستشفى ، أتدرى  
بماذا أمددته أنا من مالي الخاص ؟ لقد أمددته  
بأحد عشر ألف قميص ، وبما يزيد على سبعة  
آلاف من السكاكين والشوك والملاعق ، وبألفين  
من الأرواب التركية ... واليك هذا الحساب  
الشامل فانظر اليه ، وانظر الى قائمة وسائل  
الترفيه الطيبة ، واليك هذه فانظر اليها وهي

بتاريخ أول يناير ، أى منذ شهرين ، لقد تمكنت من الحصول عليها ، وذلك قبل أن أرسل فى طلب هذه الأشياء وأشترتها بنفسى لتوزيعها على المرضى (وتقرأ) : صحنون من الصفيح — لاشىء ، شمعدانات — غير موجود ، أقداح للشرب — غير موجود ، سكاكين وشوك وملاعق — غير موجود ، وسادات (مخدات) — غير موجود ، شباشب — غير موجود ، قمصان فنلات — غير موجود ، جوارب — غير موجود .

**بامفورد** : أرى انك لم تراع موقفنا وقد نسيت أن احدى سفننا قد غرقت فى الاعصار .

**قلورنس** : لم أسمع منذ حضورى هنا مبررا لسوء الادارة غير تلك السفينة المشؤومة التى غرقت ، حتى ليظن الانسان أن جميع موارد بريطانيا العظمى غرقت مع تلك السفينة . لقد غرقت السفينة «پرنس» فى الرابع عشر من نوفمبر وكان أمامك مهلة ستة أسابيع لتستعيض عن تلك الامدادات أو تدبرها محليا .

**بامفورد** : لا يمكننا الحصول على هذه الأشياء محليا .

فلورنس : ما دام هذا في امكاني ، فهو في امكانك أيضا .  
يا سيدى .

بامفورد : هذا لا يتفق مع التعليمات .

فلورنس : لقد فهمت ، اذن وجب على المرضى أن يقطعوا  
طعامهم بأصابعهم ويشربوا في قبعاتهم الى أن  
تصدر اليك التعليمات .

بامفورد : وعلى كل حال فلن نملهم بسكاكين وشوك  
أخرى ، وقد صرفت لهم تلك الأشياء ضمن  
لوازمهم ، وكان المفروض أن يأتوا بها وقت  
قدومهم الى المستشفى .

فلورنس : ولكنك تعلم كما أعلم أنهم تركوا كل حاجياتهم  
في بلغاريا عندما تحرك الجيش الى القرم .

بامفورد : اذن يجب أن يستعوضوا عنها بغيرها من مركب  
قيادتهم .

فلورنس : ولكن كيف يمكنهم هذا وقد بعدوا عن قيادتهم  
آلاف الأميال ؟

بامفورد : لا يمكن أن تصرف مرة أخرى ، لأن هذا يخالف  
تعليمات وزارة الحرب .

**فلورنسي** : ما رأيك صراحة يا مستر بامفوردي في مثل هذه التعليمات ؟

**بامفوردي** : ليس من شأنى أن أقد تعليمات وزارة الحربية.

**فلورنسي** : لا ، ولكن من شأنك أن تفسرها بشيء من المنطق .  
لقد طلب الدكتور « ايمز » بالأمس مزيدا من الوقود لأن العنبر الذى يشرف عليه لا يقى من البرد ، ورفضت أنت ، فزودته أنا بالوقود ، وقد كان لديك منه الكثير .

**بامفوردي** : لقد صرفت لعنبر الدكتور « ايمز » ما تسمح به التعليمات .

**فلورنسي** : ولكن المكان أيها الرجل كان أشبه بيت من الجليد ، وليس به ما يقيه من تقلبات الطقس ، وربما تسبب ذلك فى موت المرضى .

**بامفوردي** : أنت تزين أنه ليس فى الامكان زيادة مقررات

الوقود الا بأمر من المجلس ، وأنا أعلم انه يصعب على السيدة وقد اعتادت تلبية كل رغباتها أن تدرك ضرورة التقيد بالتعليمات ، ولو انك كنت فى سلك الجندية لكان لزاما عليك أن تدركى هذا .

**فلورنس** : لا تقل تلك السخافات ، وان لى من التعليمات  
الخاصة بمرضاتى ما هو فى غاية الشدة ، ولكنه  
قد روعى فى وضعها أن تحفز الى القدرة على  
العمل ، وأن تصون الأرواح وليس لكى تشجع  
على الغباء وتقضى الى الموت .

وما الجيش فى أساسه الا حسن ادراك للامور .

**يامفورد** : اسمح لى يا سيدتى أن أقول ان الجيشى

ليس على شىء من هذا ، وما هو الا طاعة عمياء .

**فلورنس** : لقد فهمت ، ويسعدنى أن أراك قد أدركت الفرق

بين الوضعين .

**يامفورد** : كل ما أعرفه هو أن لى أوامر .

**فلورنس** : أرجو أن تكون معقولا فى تفكيرك يا مستر

يامفورد ، ولقد أريتك فى هذه الحسابات كيف

كانت امداداتنا هنا ذاتية ، وعلى نطاق واسع ،

ولكننا يجب أن نجد منك عوناً أحيانا . فى هذه

اللحظة رست سفينتان محملتان بالجرحى

وأريد لهم من المستشفى الملابس والبطاطين

**يامفورد** : آسف يا سيدتى فلن تحصلى عليها ، ولذا

لا تواصلين الكفاية الذاتية ؟

فلورنس : لديك منها الكثير فى مخزنك .

يامفورد : ولكنى أقول يا سيدتى انه لم يؤذن لى بصرفها بعد ، ولن يعقد المجلس حتى الأسبوع القادم .

فلورنس : ( صابرة ) انى أعلم ما يواجهك من صعاب ، رغم علمى بسخافتها وما كنت لآتى اليك اذا كان فى امكانى الحصول عليها من المصادر المدنية ولكنى حاولت ولم أتمكن .

يامفورد : هذا مما يؤسف له ، وأرى أن صابط الامدادات الحقيق قد أصبح وفيه بعض النقص ، وأخشى أن أقول ان عليهم أن يكتفوا بما لديهم .

فلورنس : لا يا مستر بامفورد ، لن يكون هذا ، وأسألك أن تمدهم بهذه الأشياء لأنها ضرورية جدا .

يامفورد : آسف ، لا يمكنى .

فلورنس : فكر مرة أخرى فيما تقول .

يامفورد : وأنا أقول لك انى لا أقدر .

فلورنس : آمرك بتقديم هذه الأشياء .

يامفورد : لست مسئولا أمامك ولا أمام الجيش ، وأنا

موظف من قبل الخزانة وأنت تعرفين التعليمات

غيرها . يسرتنى أن أطيع .

- فلورنسي** : لن أغير التعليمات ولكنني سأغير ضابط الامدادات .
- يامفورد** : ها ، ها ، بودي أن أراك تفعلين هذا .
- فلورنسي** : ستري .
- يامفورد** : (متضايقا ) ليس هناك ما يبرر شكواك ولست أقوم الا بواجبي .
- فلورنسي** : ان لم يصلني ما أطلبه كاملا في غضون ساعة ، فاني سأبعث الى الحكومة بما يفيد أنه لايسعني الاستمرار في مركزي اذا بقيت أنت في مركزك .
- يامفورد** : ولكن مستر هربرت يعلم مركزي ، ورغما عن هذا ، ماذا في وسع مستر هربرت أن يعمل الآن ؟ انه ليس من رجال الحكومة .
- فلورنسي** : لن أكتب الى مستر هربرت أبدا ، ولكنني سأبرق الى لورد پلمرستون .
- يامفورد** : ليس في مقدورك أن تفعلين هذا ..
- فلورنسي** : أأست بقادرة ؟ سوف ترى .
- يامفورد** : ولكنني يا سيدتي — رب أسرة — فكري في زوجتي ، وأنا لا أقوم الا بواجبي .
- فلورنسي** : وأنا أقوم بواجبي يا مستر يامفورد ، وهو أسمى من واجبك ، هو واجب نحو رجال

يتألمون ، وفيهم المتزوجون أيضا يا مستر  
بامفورد .. فكر في زوجاتهم .

**بامفورد** : انك تطلين منى أن أخطر بوظيفتي .

**فلورنس** : انى أطلب منك أن تكون آمنة من الفصل من  
وظيفتك ، ومن العار أمام الناس ، وانى أمهلك  
ساعة للتفويض .

**بامفورد** : ان ما تطليينه كثير ، ألا يكفى مائة ؟ أعنى مائة  
من كل نوع . وأظن أن فى امكانى تدير المائة  
دون تصریح من المجلس .

**فلورنس** : أريد العدد الذى بهذا الطلب كاملا ، أريد  
خمسائة وتسعين وأريدها فى غضون ساعة .  
( فترة سكون قصيرة )

**بامفورد** : يحسن أن تبعثى أحداً معى لتسلمها .  
( يخرج )

**سلينا** : حسنا ما فعلت ... وانا فى حاجة لمزيد من  
البيض للتغذيات الاضافية ، والأونباشى  
« جونز » يقول ان بالمخازن بيضا لم يفحص  
بعد .

**فلورنس** : يمكننا أن نشتري البيض من «پيرا» يا «سلينا» ،

ويجب ألا تتحدى التعليمات الا اذا لم نجد  
غير هذا التحدى من وسيلة ، وسيكون  
المندوبون الصحيون هنا بعد الظهر ، فهل لديك  
قائمة بما على المرضات من واجبات ؟

سلينا : نعم .

فلورنس : هل تقوم احداهن بواجبها في أربعة عنابر ؟

سلينا : نعم ، هي « بيتس » .

فلورنس : هل هي الوحيدة ؟

سلينا : نعم .

فلورنس : اطلبها .

سلينا : ( تقف وتتنادى عند الباب ) : أيها الجندي —

ادع المرضة « بيتس » كى تحضر ( وتعود  
الى مقعدها وتخاطب فلورنس ) لماذا ؟ وما  
الخبير ؟

فلورنس : لو أردنا أن نقوم بعمل جدى فى هذه الحرب ،

وبخاصة اذا كنا يا « سلينا » نريد أن نجعل

النساء على قدم المساواة مع الرجال فى العمل،

وجب علينا أن ننظم أنفسنا مثلهم .

سلينا : بطبيعة الحال ، — وماذا ؟

**فلورنس** : لقد أعطاني المفتش العام « كمنج » تلك القصاصة من الجريدة ، وأنت تعلمين مبلغ حبه لنا ، وله الشكر على ذلك . في الجريدة كلمات هي محض افتراء وكذب ، فيها وصف للمرضى وهم يموتون نتيجة الإهمال وسوء العناية ، وليست من العدل ولا من الصدق في شيء ، فالأطباء يأتون بالعجب بما في متناولهم من معدات .

**سليينا** : نعم ، ولكن هذا التقص في المؤن والمعدات ..  
**فلورنس** : وماذا على الأطباء أن يفعلوه في هذا ، ومع ذلك فإنه من واجبي بحث هذا ، ولا بد من اخراج هذه المرضة .

**سليينا** : ولكنها يا فلورنس تحاول أن تقوم بالمعاونة .  
**فلورنس** : كل ما تقوم به هو أن تكون ألعوبة في يد أعدائنا ، وهي تطيح بنا يا « سليينا » فلا تقوم لنا قائمة بعد — وفي وسع « كمنج » أن يوضح أن الموضوع بأكمله سخافة ، والواجب لكي نحافظ على سمعتنا أن نراعي الدقة في غير مغالاة ، حتى إذا جابهنا المذنبين بالحقيقة .

عجزوا عن دفع التهمة ، نريد الحقائق —  
الحقائق يا « سليمان » وبهذه الطريقة نكتسب  
معارك الاصلاح .

( يدخل ثلاثة رجال : أحدهم رجل ضخم  
فى زى رسمى ، وثانيهم « بامفورد » ضابط  
الامدادات ، وثالثهم اسكتلندى طويل  
نحيل - ويتجه أولهم نحو مكتب فلورنس ،  
انه الدكتور « كمنج » المفتش العام ) .

**كمنج** : لقد فهمت يا مس نيتنجيل أنك أمرت ضابط  
الامدادات أن يحل بعض المهمات المحزومة قبل  
فحصها رسميا .

**فلورنس** : نعم ، لقد كانت ضرورية للمستشفى .  
**كمنج** : لن أكون فى جانبك بتاتا ، ولا بصفتى عضوا  
فى المجلس ، ولا كمفتش عام للمستشفيات ،  
وأحتج على ما بدر منك ، وبطبيعة الحال ،  
سأعزز ما جاء فى تقرير ضابط الامدادات لأن  
موقفه لا غبار عليه .

**بامفورد** : لقد حذرتك يا سيدتى أليس كذلك ؟  
**مكدونالد** : ( الاسكتلندى ) وأنا سأذيع على الجمهور عن

طريق صحيفة التيمز أن تصرف مس نيتنجيل  
كان عين الصواب .

**كمنج** : لست أخشى شيئا مما قد تنشره في التيمز  
يا مستر مكدونالد ، لا بما لى من الصفة  
الادارية ولا بكونى من رجال الطب .

**فلورنس** : عفوا سادتى ، لا أجد ضرورة لصياحكم فى  
وجودى .

**كمنج** : أود لو تفهمين يا مس نيتنجيل أنك تجاوزت  
حدود ما لك من نفوذ ، فأنت موكلة بالهيمنة  
على قسم التمريض النسائى ، وأراك اتخذت  
لنفسك سلطة السيطرة على المسئولين ، وسوف  
أرفع تقريرا بهذا .

**فلورنس** : يجب أن تفعل ما يمليه عليك ضميرك على أنه  
الصواب يا دكتور كمنج ، ولكن دعنى أنصحك  
قبل أن تبعث بهذا التقرير أن تستشير الضباط  
الأطباء الذين هم تحت رياستك ، وسوف تجد  
أن معظم امداداتهم حتى اليوم ، لم يكونوا  
ليحصلوا على شىء منها لو لم آكن قد فرضت  
سلطانى على ضابط الامدادات ، ولقد زودتهم

من مواردى ، ومن المبلغ الذى جمعه مستر  
مكدونالد عن طريق صحيفة التيمز .

**مكدونالد** : لقد أصبح الأمر خطيرا ، وطالما هممت بالنشر  
ولكن مس نيتنجيل كانت تمنعنى ، ولن يقيدنى  
أحد بعد اليوم ، فمصالح المرضى والجرحى قد  
ضحى بها من أجل تعليمات عفى عليها الزمان ،  
وما سمعت بشيء يندى له الجبين خجلا مثل  
هذا النقص الذى نراه فى البطاطين .

**كمنج** : نعم ، ولكن ليس من شأن مس نيتنجيل أن  
تصدر كل هذه الأشياء ، وأنا أعلم يا مس  
نيتنجيل أنك تريدين الخير ، ولكن هذا ليس  
فى دائرة عملك .

**فلورنس** : لقد فهمت ، اذن أنت تظن أن من الأفضل أن  
يموت الجرحى وفقا للتعليمات ، على أن يعيشوا  
إذا وجدوا العناية المرجوة ؟

**كمنج** : لا .

**فلورنس** : وربما ظننت أنه طبقا للتعليمات يجب ألا يموتوا ،  
وعلى هذا لا يمكن أن يموتوا .

**كمنج** : لست أظن شيئا من هذا ؛ وتلك هى كل المتاعب

التي تنجم عن اقحام السيدات في الخدمات العامة ، وهن يأتين بملاحظات كثيرة لا تمت للموضوع بصلة كلما حاولنا أن نجعلهن يدركن كيف يسير العمل ، ورجائي الآن أن تدركي ..

: لن أناقشك أكثر من هذا ، وعلى الذي بُعثت من أجله الى هنا ، هو العناية بالمرضى والجرحى ، ولم يكن القصد من هذا مقصورا على اعطائهم الدواء ، وجعل الوسادات ليثة ، ولكن المراد منه هو التأكد من وجود القدر الكافي من الضروريات ولوازم الراحة ، وسأرى أن يتم هذا العمل بمنتهى الجدارة أو أوقف على الأسباب المانعة .

فلورنس

وأنت يا مستر بامفورد ، هل سلمت البطاطين ؟

: لا يا سيدتي .

بامفورد

: اذن سأبعث بهذه البرقية في غضون خمس عشرة

فلورنس

دقيقة الى لورد پلمرستون ، وسأعود الى انجلترا وأنشر ما صادفني في تجاربي هنا ، وان يبقى أحد الرؤساء في مركزه فلن يكون هذا الخطأ من جانبي .

**مكدونالد** : وسأرى أنا من جانبي أن تكون صحيفة التيمز في جانبها قلبا وقالبا .

**كمنج** : ان حملات الصحف على المسؤولين ليست ذات نال يا مستر مكدونالد ، ورجائي الا يدور بخلدك أن شيئا مما تقوله قد يخيفنا أو يغير من الأمر شيئا ، ونحن قد اعتدنا اساءة الظن بنا .. ولكن المرء .. بطبيعة الحال يا مستر بامفورد .. يرى أن تكون السيدة موضع التقدير منا ..

**فلورنس** : لا تتواز خلف السيدات لتنال عطفنا ، وانى أقول ان هذا واجب الأداء ، وأنت تعلم ماذا أنا فاعلة اذا لم يتم .

**بامفورد** : حسنا ، وليس هناك ما يدعو لكى تكونى عنيفة يا سيدتى .

**فلورنس** : عنيفة ؟

**بامفورد** : ان الأشياء وحقيقة الأمر فى طريقها اليك .

**فلورنس** : اذن أجدرك بك أن تذهب مسرعا لاجزارها .

( بامفورد ينظر فى يأس الى كمنج ثم

يخرج )

ومن المؤكد يا دكتور كمنج أنك ترى أن ما هو  
ضروري للمستشفى يجب أن يجيز عدم التقيد  
بالتعليمات .

- كمنج** : نعم وأرى الا يتكرر ذلك أيضا .
- فلورنس** : ولكنه سيتكرر يا دكتور « كمنج » وسيتكرر  
دائما ، واعلم أن الحروب لها طريقتها في قلب  
التعليمات رأسا على عقب ، ورجائي يا مستر  
مكدونالد بوجه خاص ، الا تذكر شيئا من هذا  
في صحيفتك ، لأن الحكومة جادة في انجاز  
الأعمال ، وليس من العدل أن تحمل عليها بينما  
هي تحاول تحسين الأمور .
- سلينا** : معذرة ، ان الدكتور « سذرلاند » هنا وهو  
في حجرة الانتظار .
- فلورنس** : انه رئيس اللجنة الصحية ، وأرجو أن تبقيا هنا  
وتقابلاه .. نعم دعيه يدخل يا سلينا .
- كمنج** : حسنا ، وأظن أن من الواجب أن تتجاوز عن  
بعض الشيء للسيدات ، واعلمي أنك لو كنت  
رجلا لقدمت تقريرا عنك .
- فلورنس** : سيأتي اليوم يا دكتور « كمنج » الذي يحكم

فيه الرجال على النساء بأعمالهن وليس يجنسهن.

**سلينا** : « دكتور سذرلاند » .

( يدخل الدكتور سذرلاند من حجرة  
الانتظار ، وهو اسكتلندى جاف من أهالى  
« أبردين » فى الثامنة والأربعين - وتخرج  
سلينا ثانية ) .

**سذرلاند** : هل أنت مس نيتنجيل ؟

**فلورنس** : نعم .

**سذرلاند** : أنا رئيس اللجنة الصحية ، ومعى الدكتور

« جاقن » ومستر « رولنسن » .

وانى أحكم من الرائحة التى تبعث من هذا  
المبنى أننا لم نحضر قبل الأوان .

**فلورنسي** : مستر « مكدونالد » محرر صحيفة التيمز — ،

والدكتور « كمنج » مفتش عام المستشفيات  
باسكوتارى .

**سذرلاند** : ( مخاطبا كمنج ) ألم تكن فى ادنبره عام ٣٢ ؟

لقد تذكرتك عندما رأيتك ، وانه لجميل أن  
أرى أخا اسكتلنديا — هذا المكان ليس عنوانا

للنظافة ، فما الذى دعاك يا دكتور لاختياره

ليكون مستشفى ؟

كهنج : لم يكن أمامنا غير هذا المكان .

سندرانند : اذا كان الأمر كذلك فقد كان من الأحرى

الا تجدوا مكانا فتضطروا لإقامة الخيام

والأكواخ وهى لا بأس بها — هل رأيت

تخطيط هذا المبنى ؟

كهنج : لا ، لم أره .

سندرانند : يجب دائما رؤية رسومات المقاول للبناء ، واني

أحكم الآن من تخطيط هذا المكان أنه لم يزود

كما يجب بالوسائل الصحية الحديثة ، وأظن أن

من الواجب اعادة تأسيس المجارى بأكملها .

كهنج : ومن أين تظننا نأتى بالعمال ؟

سندرانند : لست أدرى ، ولا يهمنى أن أعلم ، وتفكيرى

يتجه الى أن هذا واجب عليك عمله الآن .

كهنج : واجب ؟ ومن يقول هذا ؟

سندرانند : أنا الذى أقوله ، واعلم أن لى كامل التفويض

من لورد يلمرستون ، وسلطانى للتصرف غير

منقوص .

**فلورنس** : اذن أرجو أن تذهب تورا وتمر بكل العناير ،  
وسأبعث بإحدى الأخوات الممرضات معك لأنني  
لا أريد أن أقول لك آرائي الي أن تكون  
آراءك ، وقد يذهب معك الدكتور « كمنج » .

**سذرلاند** : إنك سريعة البت في الأمور يا مس نيتنجيل ..  
نعم قد أقوم بهذا التفتيش .. هل لديك  
يا دكتور « كمنج » متسع من الوقت لتصحبنى؟

**كمنج** : أذهب معك اذا رغبت ، ولكن من العبث أن  
تتكلم بشأن إعادة البناء لأن المبنى بالحالة التي  
هو عليها لا عيب فيه مطلقا .

**سذرلاند** : حسنا ، ولكن الحكم في ذلك متروك لي ،  
وسألقى نظرة وأرى بنفسى .

( تدخل سلينا من العنبر ومن ورائها  
المرضة بيتس ) .

**سلينا** : لقد أردت يا فلورنس أن ترى هذه الممرضة  
وها هي هنا .

**فلورنس** : حسنا .. ألا تنتظرين لحظة ؟  
وأنت يا دكتور سذرلاند ، هل تسمح بالعودة

هنا لتدلى لى بأرائك قبل سفرك ؟ وهل أعلم  
أين ستكون اقامتك ؟

**سدرلاند** : نعم ، سأعود وأخبرك ، أما المكان الذى سنقيم  
فيه فلست متأكدا منه ، وقد يكون فى أحد  
فنادق القسطنطينية الجميلة ولكن هذا قد  
لا يجدى ، لأننى جئت لأقيم هنا وأشرف على  
الأعمال .

**فلورنس** : اذن أنتظر عودتك بعد نصف ساعة أو ما يقرب  
من هذا .

**سدرلاند** : نعم بعد نصف ساعة .

( سدرلاند و كمنج يخرجان ) \*

**فلورنس** : هل يتسع وقتك يا مستر مكدونالد لكى تودى  
لنا عملا هذه الليلة ؟

**مكدونالد** : نعم .

**فلورنس** : ان ما عندى من الدقيق قليل جدا ولن يسمحوا  
لنا بزيادة ما ، فهل تذهب الى المدينة وتشتري  
لنا كل ما تستطيع شراءه منه ؟

**مكدونالد** : نعم ، وهل هناك من طلب آخر ؟

**فلورنس** : هل من شىء آخر يا سلىنا ؟

- سلينا** : نريد مزيدا من القمصان ، وشموعا وصابونا ،  
وأبرا وخيطا .
- مكدونالد** : وماذا ؟
- فلورنس** : وشبابيب ، ورجائي أن تكون مما يبعث الدفء  
ولتكن ألف زوج ان قدرت .
- مكدونالد** : نعم ، وهل هذا كل ما تردن ؟
- فلورنس** : نعم وشكرا .
- وأنت يا « بيتس » ، انك تعرفين الأسس التي  
تسير عليها ، أليس كذلك ؟
- المرضة** : نعم ، بطبيعة الحال يا سيدتى .
- فلورنس** : أنت تعلمين أنه محظور علينا جميعا الاتصال  
بالصحف .
- المرضة** : أى نعم بطبيعة الحال يا سيدتى .
- فلورنس** : هل كتبت شيئا ظهر في الصحف ؟
- المرضة** : لا يا سيدتى .
- فلورنس** : لا شيء مطلقا ؟
- المرضة** : لا يا سيدتى .
- فلورنس** : لقد فهمت — انك تعملين فى العنابر ١ ، ٣ ، ٤ ،  
٥ ، ٧ أليس كذلك ؟

المرضة : نعم يا سيدتى .

فلورنس : هل علمت أن أحدا مات جوعا بهذا المستشفى ؟

المرضة : لا يا سيدتى .

فلورنس : أو مات نتيجة الإهمال أو لنقص فى العناية

الطبية ؟

( تسكت الممرضة ) .

انظرى الى هذا ، هل رأيت هذه الرسالة من

قبل ؟ انى واثقة أنك لن تكذبى .. هل رأيتها

من قبل ؟

المرضة : نعم .

فلورنس : وهل كتبتها ؟

المرضة : أقسم انى لم أرسل بها الى الصحيفة ؟

فلورنس : ليس هذا هو بيت القصيد ، لقد كتبتها .

المرضة : نعم .

فلورنس : وهل بلغك أنها ظهرت فى الصحيفة ؟

المرضة : نعم .

فلورنس : احزمى متاعك واستعدى للرحيل غدا صباحا .

المرضة : دعينى أبقى يا مس نيتجيل ، أستحلفك بالله

أن تبقينى .

فلورنسى : هذا مستحيل .

المرضة : ألا تغفرين لى ؟

فلورنسى : وما دخل الغفران فى هذا ؟ وليس هناك نية

مبيتة ضدك ، فأنا هنا لأدير مستشفى ،

ولا يمكننى أن أقوم بهذا العمل ومعى أناس

لا أثق فيهم ، ولقد كذبت علىّ وستكذبن مرة

أخرى ، وليست هذه غلطة منك ، ولكنها

طبيعتك .

المرضة : لن أكذب مرة ثانية ما دمت حية .

فلورنسى : آمل هذا .

سلينا : دعها تبقى يا فلورنسى .

فلورنسى : سترحل السفينة باكر صباحا ، ويجب أن

تكونى مستعدة للذهاب فيها ، ولا شىء غير

هذا .

( تستدير الممرضة وتخرج فى سكوت )

سلينا : هل هذا هو القول الفصل ؟

فلورنسى : ماذا ؟ أراك تعين الممرضة ، نعم انه القول

الفصل يا سلينا ، ويجب أن يعلم الآخرون سبب

فصلها ، وبذلك لن تتكرر المأساة مرة أخرى .

سلينا : لقد فهمت يا فلورنس ، وماذا تناولت من الطعام اليوم ؟

فلورنس : طعام الإفطار .

سلينا : أنا أعلم هذا — وهو بيضة وكسرة خبز بالزبد .

فلورنس : نعم ، وليس لدينا وقت ، وأمامنا رسائل نريد كتابتها .

سلينا : سأحضر لك بعض البسكوت والشاي

ولابد من تناولها لأنك تقتلين نفسك ، ولا أعتقد أنك تناولت وجبة كاملة منذ قدومنا ، ولن يؤدي هذا لشيء غير المرض .

فلورنس : لا تقلقى من أجلى ، ماذا تم فى الترتيبات الخاصة بمرضى الكوليرا ؟ انى أريد وفرة من الماء الساخن وبطانيات أكثر .

سلينا : نعم ، لقد أعددتها ، وها هو ذا الشاي فاشريه .

فلورنس : حالا . ( يدخل الأونباشى جونز ) نعم ؟

الأونباشى : لقد حملوا من السفن آخر دفعة وصلت من الجرحى يا سيدتى .

فلورنس : لقد تأخروا ، وسيخيم الظلام قبل وصولهم ، وهل المرضات على استعداد بالعناير يا سلينا ؟

سلينا : نعم .

- فلورنس** : (تتادى) : مسز « وليمز » ، ان آخر دفعة  
في طريقها الينا ، فهل أعيدت المشروبات  
الساخنة ؟
- مسز وليمز** : كل شيء قد أعدت يا سيدتى .
- الأونباشى** : لقد كان أحدهم يسأل عنك يا سيدتى .
- فلورنس** : حسنا ، سأذهب الى الباب وألاحظ دخولهم .
- سلينا** : لا تذهبي يا فلورنس لأنك فى منتهى التعب .
- فلورنس** : لا ، ولست فى مثل ما هم عليه من التعب ،  
ولا يسعنى أن أخيب رجاءهم .
- سلينا** : متى يحتمل وصولهم ؟
- الأونباشى** : لقد وصلوا الى الأبواب الآن يا سيدتى .
- فلورنس** : حسنا سأكون هناك .
- سلينا** : اذن فاشربى الشاي قبل مجيئهم .
- فلورنس** : لا ، ليس هذا مما يشغل بالى الآن ، ويجب  
أن أرى هؤلاء المساكين وهم ينقلون .
- سلينا** : جرعة واحدة يا عزيزتى .
- فلورنس** : أوه حسنا .. أرى أنك أضفت اليه بعض  
البراندى يا سلينا .
- سلينا** : نعم ، لأنك فى حاجة اليه .
- فلورنس** : انه للمرضى وليس للأصحاء ، وهو نفيس جداً

وأخرى ألا يضيع سدى ، فأشراية أنت لألك  
متعبة أيضا .

سلينا : أنا بخير وما بي شيء .

فلورنس : افعلى ما أمرك به يا سلينا .

(سلينا تشرب الشاي وتذهب مع فلورنس ،  
ويقفان معا يرقبان الجرحى وهم يحملون )

سلينا : يا لهم من بؤساء !

فلورنس : الهى ، ما أبأس حالهم ، انهم يرتدون أثمالاتا ..

اكتبى يا سلينا مذكرة بزيادة فى الملابس ، —  
وها هم آخرون مرضى بالكوليرا ، وآمل أن  
يكون الماء الساخن قد أعدّ بوفرة كما تكون  
البطاطين قد زيدت .

الأونباشى : ها هم يأتون بذلك الرجل يا سيدتى .

فلورنس : نعم ، انهم جميعا قد عضّهم الجليد بنايه ، ..

ان هذا يقض من مضجعى ، قف ، هل هذا  
هو الرجل ؟

جونز : نعم يا سيدتى .

فلورنس : ايت به هنا .

الأونباشى : هلموا فتيتى من هذا الطريق .

( يدخلون وهم يحملون المحفة « النقالة » )

- فلورنس : دع الرجال يخرجون .
- الأونباشي : كفى هذا أيها الفتية .
- تريمان : ( الرجل الذي على المحفة ويقول باعفاء ) :  
فلورنس .. هل أنت فلورنس ؟
- فلورنس : هنرى ، ولماذا فعلت هذا ؟
- تريمان : ظننت أنه ما دام هذا فى مقدورك ، فهو فى  
مقدورى .
- فلورنس : لقد جرحوك يا عزيزى .
- تريمان : لقد أجهزوا علىّ يا فلورنس ، وقد عملت على  
أن أبقى حيًّا فوق تلك السفينة المزعجة لأسعد  
برؤيتك لدقائق قليلة قبل .. يا الهى .. اعلمى  
يا فلورنس على تحسين الحالة فى تلك السفن ،  
إذ لا يمكنك أن تتصورى ما فيها من أهوال  
وما بها من أقدار ، لقد أصبحنا فيها كعجينة  
مزجت بالدماء وبالأقدار ، وسحبونا جميعا  
ونحن رقود على سطح السفينة فاحتكتت به  
أجسامنا ، وكم قاسينا ، ولم يكن هذا بذى  
بال من ناحيتى ، لأنه كان جزءا من .. ولكن  
يجب ألاّ يقاسى الجرحى هذا العذاب .  
( وتخور قواه فجأة )

**فلورنس** : نعم ، نعم ، أنا أعلم أن الحالة سيئة ، ولكننا  
نعمل على الاصلاح شيئاً فشيئاً ، وسوف أولى  
السفن اهتمامى يا عزيزى ، والآن دعنى أرى  
جراحك .

**تريماين** : لا فائدة البتة من هذا ، يالها من رحلة قاسية  
فى تلك السفن ، لقد انتهيت .

**فلورنس** : لا ، لم تنته بعد يا هنرى .  
وأنت يا سلىنا أسرعى باحضار الطبيب ،  
احضرى « ايمز » .

( تسرع سلىنا بالخروج )

لن أغير الضمادات حتى يأتى الطبيب .

**تريماين** : لا تفعل ذلك أبداً يا فلورنس ، وما جئت هنا  
كى أربط ، وانما جئت لأراك وأقول وداعاً .

**فلورنس** : يجب ألا تستسلم يا عزيزى .

**تريماين** : ليس بى قوة لأتباحث معك .

**فلورنس** : ولا للحديث كذلك ، فاهداً يا حبيبى .

**تريماين** : لقد خارت قواى — افحصى هذا بنفسك —

هل تذكرين يا فلورنس تلك الليلة عندما كنا  
بجانب النافورة ؟

**فلورنس** : يا عزيزى لا تتكلم — لا تتكلم .

- تريمان : هل أسأل .. سؤالاً ؟
- فلورنس : سل .. ولكن يا عزيزى لا تجهد نفسك .
- تريمان : هل شعرت بحبى حقا فى تلك الليلة ؟
- فلورنس : بكل اخلاص وسأظن أحبك ، وأشتاق اليك الى آخر حياتى المتعسة .
- تريمان : أحقا هذا ؟ ذلك هو كل ما أردت أن أعرفه .  
( « سلينا » تعود )
- فلورنس : هل هو آت ؟
- سلينا : لقد أخبرته .
- فلورنس : سيكون الطبيب هنا بعد دقيقة يا هنرى ، ولا بد الآن أن أدرج اسمك فى سجل المستشفى ،  
فما مركزك .. هل أنت ضابط ؟
- تريمان : كيف أكون ضابطا يا فلورنس ؟ لقد تطوعت جنديا .. ورقونى أونباشيا بعد موقعة « انكرمان » .
- فلورنس : وفى أى وحدة أنت ؟
- تريمان : فرقة المدفعية .
- فلورنس : باسمك الحقيقى « هنرى » ؟
- تريمان : ولم لا ؟ ولا عار فى هذا ، هل هناك عار ؟

**فلورنس** : لا تقل هذا يا عزيزى . والآن قد أدرج اسمك بالسجل ، وأصبحت لك بطاقة ، وستكون فى عبرى الخاص .

**تريماين** : ( يرتفع صوته فجأة ) : فلورنس ، أعتقد أنى سأتحسن ، ولقد شعرت فجأة أنى أقوى كثيرا .

**فلورنس** : نعم يا عزيزى ولكنك لن تكون كذلك اذة تكلمت .

( وتهمس الى سلينا وهى قلقة ) : أختى أن تكون هذه هى النهاية ، اسرعى يا سلينا ، ألا تستنهيضين هذا الطيب ؟

**سلينا** : ( همسا ) : ولكنهم لن يتركوا حالات فيها الرجاء ليأتوا الى من يحتضرون يا عزيزتى ، وهل يكون هذا ممكنا ؟

**فلورنس** : ولكن بالله عليك يا سلينا ، استدعى سذرلاندى ، هذا الذى حضر حديثا ، وستجدينه فى مكان ما بالمستشفى ، وهو غير مكلف بعمل خاص .

اسرعى بحق السماء .  
( تخرج سلينا مسرعة )

**تريماين** : الظلام خالك ..

فلورنس : حالك يا عزيزي ، وسنأتي لك بالنور سريعا .

( تحاول أن تقوى من نفسيته وتمد فيه من روحها ، كما تحاول في نفس الوقت أن تقنع نفسها ) .

لقد انتهى الآن كل شيء يا هنري ، ولم نعد نجزع خوفا على سلامتكم يا عزيزي ، وعليك أن ترعى صحتك ، وسأحضر لكي أعني بك عندما تزول الأزمة ، وسأقوم بكل ما تطلب يا عزيزي اذا بقيت حيا ولم تمت لتركتي وحيدة .

يجب أن تعمل لاستعادة قوتك يا هنري ، وسوف نجوب البلاد ولا تفارق بعضنا أبدا ، وسأكون لك عبدة لما لحق بك من أجلى ، احفظه يا الهى .

( فترة سكون قصيرة ، ويفتح عينيه فجأة )

تريماين : ( بصوت عجيب كأنه يأتي من بعيد ) : فلورنس ، هل أنت فلورنس ؟ أين أنا ??

فلورنس : نعم ، أنت معي .

تريماين : الظلام يزداد — ويزداد .

فلورنس : هل تريد .. القس ??

**تريماين** : لا ، أنا بخير ، أكرمك الله يا فلورنس .

( يندفع الدم فجأة الى شفثيه ويميل الى الورااء ويموت )

**فلورنس** : هنرى .. بالله عليك كلمنى ( تمالك نفسها

وتقف ) : عملى ، يجب أن أودى عملى ، ..  
وسنموت جميعا ، وما الموت الا تحوّل من  
حالة الى أخرى ، ولا فناء للروح فهى خالدة ..  
( يفتح باب العنبر فجأة ويدخل الدكتور  
سذرلاند مسرعا )

**سذرلاند** : وصلتنى رسالة فهل من شىء تريدينه ؟

**فلورنس** : لقد سبق السيف ، لقد مات .

**سذرلاند** : نعم لقد مات ( وقد نظر من تحت الأعطية )

يا للسموات .. هذه الجراح كانت كصيلة بالقضاء  
عليه من مدة .

( قالها وهو يلتفت الى فلورنس وقد تأثر

عند رؤية وجهها الحزين )

**سذرلاند** : هل كان صديقا لك ؟

( تنحنى رأسها وهى صامتة )

انه مصير أولاد حواء جميعا ، ولكنك سيدة

وقد بلغت من السمو شأنًا عظيمًا ، فلا تجعلى  
هذا يتغلب عليك ، وفكرى فى الآخرين الذين  
هم بالعنابر هناك .

( تحنى رأسها بطريقة آلية )  
( ويدخل الأونباشى جونز من العنبر  
مرعا ) •

الأونباشى : مس نيتنجيل ، عملية بتر سريعة ، ويسأل  
الدكتور « ايمز » ان كان فى الامكان محيك  
لمعاوته .

فلورنس : سأحضر .

( جونز يؤدى التحية ويسرع عائدا ) •

ستارلاند ■ ( بحنان ) يا لك من فتاة شجاعة •

( تحمل مصباحها بيدها وتتحرك ببطء نحو  
الباب ، ثم تلتفت عند الباب وقد رفعت المصباح  
وتقول ) : وداعا يا حيببى ( وتخرج متشجعة ) .

( تنزل الستار )

## الفصل الثالث

### المنظر الأول

حجرة بشارع أولد برلنجتن سنة ١٨٦١

مضى ما يقرب من سبع سنوت منذ أن أبحرت فلورنس  
فيتنجيل بممرضاتها تقصد القرم ، كما كان قد مضى ما يزيد عن  
ست سنوت على وفاة هنرى تريماين ، وخمس سنوت على نهاية  
الحرب • وكانت كلها سنوت متواصلة العمل كثيرة المشاق •

وبلغت «فلورنس» الواحدة والأربعين ، وأصبحت عقليتها  
أكثر ما تكون نشاطا ونضجا •

غير أن متاعب الحرب أضعفت من صحتها إلى درجة جعلت  
الأمل فى حياتها أحيانا مفقودا •

على أنها كانت رغم هذا أعظم شخصية أمرة بانجلترا ، وأصبح  
الوزراء طوع ارادتها ، والملكة تعلن تقديرها لها صراحة حيث تقول  
« وددت لو أنها كانت فى وزارة الحربية » •

وكان لورد پلمرستون ، وهو الآن فى السابعة والسبعين ،  
ورئيس للوزارة للمرة الثانية يقف الى جانبها ، ولا يقعد عن  
مساندتها فى إنجاز مشاريعها بكل ما أوتى من نفوذ ، وهو ذلك  
الرجل الذى كان معبود البلاد وأعظم معاصريه اعتدادا بالرأى •

وذات يوم صاف فى مستهل الصيف كانت فلورنس وهى  
التي فرضت ارادتها على الحكومة طوال خمس سنوت دام فيها

القتال ، قد أوشكت أن تصل الى نتيجة حاسمة في تنفيذ مشاريعها  
وضمن استمرارها ، بما قامت به من اصلاح شامل لوزارة  
الحرية .

ولم يكن قد بقي على انعقاد جلسة خيراؤها غير دقائق قليلة  
كي يعرضوا فيها على « سدني هربرت » الخطوة التالية وتري  
فلورنس وهي في تشاور مع الدكتور سنرلانند ، وهو ذلك الرجل  
الذي لم يفارقها منذ حرب انقرم ، ويعمل مستشارا فنيا لها -  
وتراهما وقد فرغا من جمع ربطة كبيرة من الأوراق .

**فلورنس** : تامّة ! ولا سبيل الى التساؤل فيها ، ولم يبق  
الا « سدني » ليدعها بنفوذها ، وبذلك يتم  
كل شيء .

**سنرلانند** : ( وهو في شك ) .. نعم .  
**فلورنس** : ماذا أيها الاسكتلندي ؟ أتريد أن توحى بأن  
« سدني » سيتخلى عنا ؟

**سنرلانند** : ما قصدت هذا ، ولكنني قصدت أنه ضعف  
جسمانيا ، وأنه لا بد من وجود سبب قوى  
لذهابه لمجلس اللوردات .

**فلورنس** : انه لم يدخل مجلس اللوردات الا ل يتم هذا  
العمل ، وليس للتخلي عنه . بعد ستة شهور ..

**سنرلانند** : وكم من أشياء قد تحدث في الستة الشهور !!  
( تدخل خادمة ) .

**الخادمة** : « ليدى هربرت » تريد مقابلتك يا سيدتى .

**فلورنس** : ليدى هربرت ، أتعين لورد هربرت ، أليس كذلك ؟

**الخدمة** : لا يا سيدتي ، أعنى ليدى هربرت .

**فلورنس** : دعها تدخل بالطبع .

ما هذا أيها الاسكتلندي ؟ انها لم تأت لتراني منذ ستة شهور ، انها تظن أن لي .. تأثيرا كبيرا جدا ، وهل تظن .. أنها تحاول أن تتدخل ؟ ( وهي عابسة ) : أولى لها ألا تتدخل .

**سدرلانند** : لا أريد أن أقلقك بظنوني ، ولعلها جاءت

كصديقة ، وقد كنتما صديقتين . أليس كذلك ؟

**فلورنس** : انى أسائل نفسي هذا السؤال ! لقد أوفد

بعضهم في غضون الحرب جماعة أخرى من

المرضات بعد أسبوعين من وصولي ، وأمروهن

أن يرفعن تقاريرهن الى « كمنج » وهو الد

خصومي ، ولا يرفعنها الى رغم أنهم أقاموني

مشفرة ، وكم ظننت أن تلك الهفوة الصغيرة

هي من وحي .. أحد الأصدقاء .

**سدرلانند** : لا أريد أن تشغلي تفكيرك بمثل هذه

السخافات ، ولقد عاونك الرجل جاهدا كما

فعلت أنا .

**فلورنس** : انه متواضع ولا عيب فيه ما دام معى ، ولكنه  
ضعيف ! وهو دائما عرضة للمؤثرات ، على  
أنى لست أعرف سببا لقلقى .  
( تدخل الخادمة )

**الخادمة** : ليدى هربت يا سيدتى .  
( تدخل اليزابث هربت ، ولم تكن الأيام  
قد غيرت منها فبدت وهى فى الخامسة  
والثلاثين سيدة لطيفة جدا ) .

**اليزابث** : حبيبتى فلورنس ..  
**فلورنس** : أهلا اليزابث ، كيف حالك ؟  
**اليزابث** : أنا متضايقة ، ألا تعرفين ؟ أنا فى ضيق من  
الموسم وما أشبه ، ولكنى سعيدة جدا لرؤيتك  
يا عزيزتى .

**فلورنس** : أظنك تعرفين الدكتور سذرلاند ؟  
**اليزابث** : نعم أعرف الدكتور سذرلاند بطبيعة الحال ،  
تشرفتنا ؟ أظنك لم تذهبي الى الأوبرا يا فلورنس  
أمس ؟ طبعاً لا ، لأنك عاقلة ولا تذهين الى  
الأوبرا ، كما أنك لا ترهقين نفسك بالاجتماعات  
لرجاحة عقلك ولكنك تعرفين أن هذا من واجب  
الوزراء .

فلورنسى : نعم يا اليزابيث ، وهل أنت فى طريقك الآن الى حفل ؟

اليزابيث : لا ، لا يا عزيزتى ، لا ، لقد كان الموسم مرهقا لنا طوال هذا العام ، وسأذهب الى « سپا » حالا ، هل تعرفين « سپا » .. بألمانيا ؟

فلورنسى : نعم أعرفها .

اليزابيث : لقد أغريت « سدنى » بالذهاب معى .

فلورنسى : متى ؟

اليزابيث : بعد أيام قليلة .

فلورنسى : وهل أرسلك لتقولى لى هذا ؟

اليزابيث : ماذا تعنين يا فلورنسى ؟

سترلاندى : ( واجما ) يا الهى !! لم أتمم تقرير هذا المساء ، ومعدرة فلن أتأخر .

( يسير نحو الباب ويخرج )

اليزابيث : ( تنظر حوالىها للتأكد أنهما بمفردهما ) :

حسنا ، هذا أفضل وسنتمكن من الكلام بصراحة .

فلورنسى : انى أتكلّم دائما بصراحة ولكنك لم تجيبى على سؤالى .

- اليزابيث** : وهل أنا في حاجة لأجيب على أسئلة خاصة بزوجي ؟
- فلورنس** : ما دمت قد أتيت بخبر ، فمن حقي أن أعرف مصدره .
- اليزابيث** : « سدني » منصاع لأوامر الطبيب .
- فلورنس** : أوامر الطبيب ؟
- اليزابيث** : لقد استقال من الوزارة .
- فلورنس** : ( سكتت برهة ثم قالت في هدوء ) : وهل تركك لتقول لي هذا ؟
- اليزابيث** : انك تسين أني زوجته ؟
- فلورنس** : ومتى حدث هذا ؟ لقد كنا في انتظاره هذا الصباح ، هل ترين هذه الكومة من الأوراق والكتب ؟ هذا هو ما أعدناه له ، والفخر عائد إليه جميعه ، واصلاح الجيش منسوب اليه بأكمله ، وقد قمنا به كله هنا ، دون ذكر الأسماء ، ونحن مسرورون وعن طيب خاطر .
- ولقد قرأت الصحف فوجدتها تصفه بأنه أعظم وزير للحرب في الوقت الحاضر . وكنا نحلم بأنه سيكون خليفة پلمرستون في رئاسة الحكم ، وبأننا سنجعله يرتفع الى أعلى مركز بالدولة ،

وبأن يكون زعيمنا ورئيسنا وما كان النصر  
الكامل ليحتاج غير مجهود واحد ، واحد  
ولا غير ثم يستريح بعد ذلك ( وفي مرارة )  
وأراك تحدثيني عن أوامر الطبيب .

لقد مكثت تحت أوامر الطبيب سبع سنوات ،  
وقد قال لي « سذرلاند » كذلك أن العمل  
يقتلني ، ولكنني ظللت في مكاني ، وها أنا هنا  
أشتغل صباحا وظهرا وليلا ، مع أني سيدة .  
والآن تقولين لي ان الزعيم الذي تفخر بخدمته  
يتنحى عن العمل وهو قاب قوسين أو أدنى من  
النصر ، وكأنه تلميذ جبان تقاعس وتخاذل قبل  
أن يصل الى نهاية السابق .

**اليزابيث** : ليس من حقلك أن تقولي هذا ، انه مضطر الى  
التخلي عن العمل لأن العمل يقتله .

**فلورنس** : وعلى فرض أنه يقتله أو يقتلني أو يقتلك  
أو يقتل أي واحد منا ؟ فماذا يهم هذا لو قورن  
بالنتائج ؟ ألم يكن من الأفضل أن نموت وقد  
حققنا غرضا ساميا من أن نعرضه للخطر ونوليه  
ظهرنا في آخر دقيقة بحجة المرض ؟

ألا تعلمين أنه كان الأجدد ألا يبدأ بالعمل  
بتاتا على أن نبدأ فيه ثم تركه ؟ ومن ذا الذى  
سيدافع من أجله الآن وهو مقرون باسم  
« سدنى » ؟ وأنت أدري كيف يجب أن يكون  
الرجال .

**اليزابيث** : أنا أعرف كيف تكون النساء ، والى أى حد  
يكون مدى تدخلهن وما هذا التطاحن ؟ وعلام  
يكون ؟

**فلورنس** : انى أقاتل من أجل الرجال الذين ماتوا فى الحرب  
بين ذراعى .

**اليزابيث** : آه ، الحرب ، لقد انتهت الحرب .

**فلورنس** : نعم ، حتى تقوم حرب أخرى .

**اليزابيث** : حبيبتي فلورنس ، ان الناس لا يهتمون بالحرب  
الآن .

**فلورنس** : وهذا هو السبب الذى أناضل من أجله  
يا اليزابيث ، لقد نسى الجميع الحرب ، أما أنا فلا ،  
وسأظل أجاهد دفاعا عن الثقة التى وضعها  
الموتى فى عنقى ، وحتى لا تكون عدم الكفاية  
والرسميات الجامدة سببا فى تعذيب أو قتل

الجندى العادى ذلك الرجل الأمين ، الذى  
لا يشكو وهو مشغن بالجراح .

**اليزابيث** : وهل تظنين انك تدافعين عن هذا ؟ لا ، ليس

من أجل هذا تدافعين ، ولكنك تدافعين لاشباع  
كبريائك ، ذلك الغرور الذى من أجله يضحي  
بزوجى والذى كان سببا فى موت هنرى تريمين

**فلورنس** : وماذا تعرفين أنت عن « هارى تريمين » ؟

**اليزابيث** : ألم يكن أحد هؤلاء الجرحى المخلصين الذين

لا يشكون ، والذين ماتوا بين ذراعيك ؟

**فلورنس** : وهل أنبأك « سدنى » بهذا ؟ كان من اللازم

ان اخمن ذلك .

**اليزابيث** : لقد جاء الوقت يا فلورنس الذى تعلمين فيه

الحقيقة ، ان فيك رغبة جنونية للسيطرة ، واذا

لم تأت الأمور وفق أهوائك ثرت غاضبة ،

وليس هذا من الحكمة فى شىء دعى « سدنى »

يستعيد صحته ، وربما أمكنه بعد ذلك أن يتابع

الأمر .

**فلورنس** : يتابع الأمر ! وكيف يتأتى له أن يستعيد نفوذه

بعد أن هرب — مريضا — من موظفيه الدائمين؟

ألا تزين يا الزبايث أنه خيب ظنهم جميعا وهو  
قاب قوسين أو أدنى من النجاح ؟ ولماذا لا يتعهد  
هذا العمل حتى ينتهى ثم يتركه اذا كانت تلك  
رغبتك ؟

**اليزابيث** : لأنه استقال ، ولقد قلت لك هذا ، فهو لم  
يعد وزيرا .

**فلورنس** : لقد أغريته كى يفعل هذا .

**اليزابيث** : نعم .

**فلورنس** : ودون مراعاة لعمله .

**اليزابيث** : على النقيض من هذا ، ولكنى عزمت عزمًا صادقًا

ألا يكون عمله مفضلا على صحته ، وأنا

يستهوئنى مركز « سدنى » ، ولكن حياة زوجى

تستهوئنى أكثر من هذا .

**فلورنس** : وهل قبل يلمرستون استقالته ؟ اذ ربما يمكن

تدارك الأمر . .

**اليزابيث** : فلورنس ، لا فائدة من التدخل ، ويظهر أنك

تظنين انه على الرغم من وعده لى ، فأنت لا زلت

قادرة على أن تبعديه عنى من أجل عملك ،

اذن — حاولى وخذيه .

**فلورنس** : لا ، أنت على حق ، ليست هناك فائدة من ذلك ،

ولست عندي النية لابعاده عنك ، وعملي أعظم  
من أن يوكل الي ضعيف وآمل أن تجدى  
طقسا جميلا بألمانيا يا اليزابث . وعند عودتكما ،  
إذا قدر لسدني أن يدخل مجلس اللوردات  
ثانية فلا يضن بكلمة أو كلمتين يعضد بهما  
الأشياء التي تؤمن بها ووداعا ( وتمد يدها ) .

**اليزابيث** : ( تتناول يدها ) ولكنك تعلمين يا عزيزتي

فلورنس كم أنا فخورة بك ومعجبة ، غير أنني  
أكثر اعجابا بسدني ، ولا أتحمل أن أراه ينهار ،  
فهل لك اعتراض ؟

( تخرج الخادمة )

**فلورنس** : وما فائدة الاعتراض ؟

نعم ؟

**الخادمة** : « لورد هربرت » .

**فلورنس** : يدخل في الحال .

( تدخل الخادمة )

**اليزابيث** : ( قلقة ) : وماذا أنت فاعلة يا فلورنس ؟

**فلورنس** : لا شيء .

( يدخل هربوت وعليه مظاهر المرض )

هربوت : أهلا اليزابث ( وينظر الى كل منهما نظرة الذي يستقصى أمرا ) .

فلورنس : أهلا « سدني » ، لقد علمت أنك ذاهب الى « سبا » ويحزننى ما لحق بصحتك ، وأعتقد أن هذا خير ما تفعله .

هربوت : وهل تظنين هذا ؟

فلورنس : ( بهدوء ) هذا ما أظنه .. وهل عيّن لورد پلرستون خلقا لك ؟

هربوت : وكيف علمت أن أحدا سيخلفنى ؟

اليزابيث : لقد أخبرتها يا « سدني » .

فلورنس : كنت آمل أن أسمع هذا منك شخصيا ، ولكن هذا لم يحدث ، ومن هذا الذى سيخلفك ؟

هربوت : أعتقد أنه « سير جورج لويس » .

فلورنس : شىء جميل ، انه يكتب أشعارا جميلة باللاتينية ، ولا يعرف شيئا عن الأمور الصحية ، وسيكون عملنا على ما يرام .

هربوت : يبدو لى أنك لم تهتمى بهذا كثيرا .

فلورنس : ومن هذا الذى أهتم به فى قليل أو كثير ؟

- هربت** : أنا الذى تخلى وهرب .
- اليزابيث** : سأترككما .. لتحدثا معا .
- فلورنس** : لا داعى لذلك يا اليزابث ، فليس هناك ما يقال .
- اليزابيث** : نعم ، ولكنى أود هنا .. وأنا أعلم أنك لن تشجعيه ليعمل عملا فيه جهالة .
- فلورنس** : وهل هذا ظنك بعملنا — جهالة ؟
- اليزابيث** : أنت تعلمين أنى لا أعنى هذا ، ولكن أى عمل مهما كان نوعه يعتبر الآن بالنسبة لى جهالة .
- ووداعا يا عزيزتى وسأخرج ، وعند عودتنا سأحضر لأراك .

(فترة سكون قصيرة بعد خروجها)

- هربت** : ان الحق فى جانبها يا فلورنس ، لأن العمل الآن مهما كان نوعه جهالة ، ولست بقادر على العمل .
- فلورنس** : أظنك تشعر أنك لست له بكفاء ؟
- هربت** : ليس هذا ولكن حالتى خطيرة ، ولن أعود أبدا يا فلورنس ، واليزابث تجهل هذا فلا تخبريها .
- فلورنس** : ما هذا يا « سدنى » ؟

هربرت : سأموت بعد شهر .

فلورنس : وهل تلك أوامر الطبيب أيضا ؟

ابتهج وطب نفسا يا سدنى ، لقد قالوا لى مثل  
هذا عدة سنوات ، ولكنى عملت على أن  
أعيش .

هربرت : لقد حاولت هذا يا فلورنس ، ولكنى شعرت  
هذا الصباح وأنا أصعد السلم بانهييار ، ثم  
حدث لى اغماء .

فلورنس : أعلم ذلك ، وقد حدث لى نفس الشيء .

هربرت : هل من ضرورة لأرى المشتغلين معك ؟

فلورنس : ليس هناك ما يستدعى ذلك ، وسنبدا العمل  
من جديد .

( فترة سكون مصحوبة بالقلق )

هربرت : أظن أنه يحسن بى أن أذهب ، فوداعا .

( يمد يده )

فلورنس : ( تمسك يده ) : لم تصادفنى لحظة فى حياتى

شعرت فيها بمثل تلك المرارة التى أشعر بها  
الآن ، ولقد اتجه فكرى وقت أن قتل  
« تريماين » الى أن أمامى على الأقل عملا أعيش

- من أجله ، والآن أرى ان عملي قد قتل أيضا .
- هربرت** : مسكينة أنت يا فلورنس .. عملنا المشترك ..
- فلورنس** : لن أتخاذل وسأستمر بمفردى ووداعا يا مدني وأرجو من الله أن يرد اليك صحتك يا عزيزي ،
- وألف شكر لكل ما أدتيه لنا .
- هربرت** : أكرمك الله يا فلورنس .

( يستدير ويخرج مسرعا )

(فترة سکون ثم يدخل الدكتور سدرلاند،  
وتستدير فلورنس وتقف لتتظر من  
النافذة ) .

- سدرلاند** : لقد فكرت أن أبتعد عنكما قليلا ، ألم يأت  
لورد هربرت من أجل الأوراق ؟ قولي ، ماذا  
حدث ؟؟

- فلورنس** : لقد تنحى ، ويجب أن نبدأ عملنا من جديد .
- سدرلاند** : يا الهى ، يا الهى ، أليس هذا مما يؤسف له ؟  
ليس لدينا ما نقوله .. فهذه سنة الحياة .

( تنزل الستار )

## المنظر الثاني

الحجرة نفسها - أغسطس عام ١٨٦١

( فلورنس ومس نيتينجيل في حديث مع بعضهما ، بينما تدخل خادمة لتعلن عن قادم ٠٠ )

**الخادمة** : لورد بلمرستون قد آقبل يا سيدتي

**فلورنس** : هل حضر؟ دعيه يدخل في الحال .

( وتنادى ) : سذرلاند !!

**سذرلاند** : ( يسمع صوته من خارج المسرح ) : هل أنت على استعداد ؟

( ويظهر سذرلاند عند الباب )

**فلورنس** : لا ، لقد حضر بلمرستون لزيارتنا ، أليس ذلك اقتصارا ؟ ؟

**سذرلاند** : ( غير متحمس ) : أى نعم ، انه عظيم ، ولكنه لن يقوم بالكثير .

**فلورنس** : أيها المتشائم ، اخبرني عندما يأتى الآخرون .  
**سذرلاند** : نعم ، سأفعل .

( يخرج ، وبعد لحظة يدخل لورد بلمرستون ) .

**فلورنس** : (بحرارة) : لورد بلمرستون ، انه لكرم عظيم  
حقا ، وكان هذا أقصى ما أصبو اليه ، ولقد  
كتبت اليك كي تسمح لي بالحضور لتقابلتك ،  
ولم يدر بخلدي أنك ستحضر الي هنا بنفسك .

**بلمرستون** : آه ، ولكنك كأحد تلاميذي ، ولذا وجدت من  
واجبي كمدرس بار ، أن أراك في مكان عملك ..  
وعلاوة على ذلك فقد كنت في طريقى الى مجلس  
النواب ، وبودى لو أعلم سر قوتك ، لقد قيل  
لي أنك تطريننا بعقد مجلس شبيه بمجلس وزراءنا .

**فلورنس** : نعم ، انا نسميه مجلسا .

**بلمرستون** : وهل سيكون انعقاده اليوم ؟

**فلورنس** : سيكون موعد انعقاده في الثانية عشرة .

**بلمرستون** : هل لي أن أحضره بصفة غير رسمية ؟

**فلورنس** : سيكون لنا الشرف .

**بلمرستون** : اعلمى أن من واجبي أن أحذركم مقدما أنى لن  
أستطيع أن أعدكم بشيء أكثر من عطفى  
نحوكم .

**فلورنس** : ان شعورى ليزداد بنجيعتنا في ترك سيدنى

هربرت لينا ، وليس هناك من يملأ فراغه ما  
أعظمها من مأساة أ  
مسكين هربرت ! انى لأظن أن ذلك ألمه كثيرا ،  
وأن أشد ما أقلقته وآلمه تفكيره فى موقفك ولقد  
كان لنا معا حديث طويل عندما قدم فى آخر  
الأمر استقالته ، ولكن استمراره فى العمل كان  
ميثوسا منه .

**يلمرستون**

**فلورنس** : لقد كانت له منزلة كبيرة عندك .

**يلمرستون** : أكبر منزلة من أى رجل آخر .

**فلورنس** : وأظن أنك تعود علىّ باللائمة بأنى كنت عاملا  
من عوامل انهياره ؟

**يلمرستون** : نصيبك فى اللوم قليل . لقد كان لجلادستون  
وزير المالية نصيب كذلك .

**فلورنس** : وهل كان هذا لأن مشروعاتنا تتطلب المزيد من  
المال ؟

**يلمرستون** : بالضبط ، لأن مستشفياتك الجديدة تتطلب  
مئات الألوف من الجنيهات .

**فلورنس** : سوف أتذكر جلادستون دائما .

**يلمرستون** : نعم ، وواجبى كذلك أن لا أعفله فهو ليس  
بالذى ينسى .

- فلورنس** : ألا يرجع تاريخ مرض «سدنى» الى الوقت الذى كان يناضل فيه جلاستون من أجل مستشفياتى ؟
- بلمرستون** : نعم هو السبب الأساسى .
- فلورنس** : ما قال لى هذا قط .
- بلمرستون** : وكيف يخبرك بما يدور بالمجلس ؟ وأنت تعلمين أن هناك قسما بالكتمان .
- فلورنس** : اذن لم يكن الامر انه كان يخشى مناقلة المسئولين فى وزارة الحرية ؟
- بلمرستون** : لاشك أنك تعلمين يا مس فيتجيل أن الحكومة البريطانية اذا قررت أمرا ، حتى لو كان بسيطا نسبيا ، كالقيام باصلاح وزارة الحرية ، فان الموظفين الدائمين لا يجرؤن على معارضته ، ولكن اذا اختلفت الآراء بمجلس الوزراء ، فان الأمر قد يكون غير هذا .
- فلورنسى** : اذن فأنا لم أكن عادلة .
- بلمرستون** : نحو من ؟
- فلورنسى** : | نحو سدنى هيرت .
- بلمرستون** : اذا كنت قد لمته .. وأظنك عدت عليه باللائمة ؟
- فلورنسى** : هل من الصعب يا لورد بلمرستون ، اذا ما

ما استعداد « سدنى » صحته ، أن يعود الى  
وزارة الحرية ؟

پلمرستون : ولكن صحته لن تسمح بهذا .  
فلورنس : لقد وصلتى رسائل تشجع على هذا .  
پلمرستون : لن يقوى على مقاومة الجهد .  
فلورنس : لا أعنى عودته في الحال بالنقل بعد سنة أو حتى  
بعد سنتين .

پلمرستون : وماذا تظنين أن سيكون رأى زوجته حيال ذلك .  
فلورنس : ولكن هذا عظيم الأهمية في المستقبل .  
پلمرستون : أنت تعلمين، يا مس فلورنس أنى كثيرا ما أسأل  
نفسى عما اذا كانت أعمالنا تهم الأجيال القادمة  
بقدر ما فخذع أنفسنا بأنها سوف تكون موضع  
الرضا منهم .

فلورنس : (بعنف) : عجباً ! ألا ترى خرق وخطورة موقفك  
هذا ؟ أراك تسمح بوجود المرضى والأقذار ،  
وتبتسم للفوضى وعدم الكفاية ، لا لشيء الا  
لأنها كانت دائماً هكذا ، وتقعده عن خلق نظم  
جديدة ! وتجد من السهل ابتكار جمل منمقة  
تبرر بها وجود المساوىء .

**پلمرستون** : عزيزتى ، ان لى من كبر سنى ما يجعلنى فى غنى  
عن وعظك . أريد أن أعاونك فيما تسينه  
بعملك لأنى أحببتك ، ولكنى لا أريد أن أتظلى  
عن حسن ادراكى ومعرفتى للناس فسيظل  
الموظفون دائما قليلي الفهم ، وستظل وزارة  
الحرية على ماهى عليه من سوء الادارة للحروب،  
ولكن البلاد ستتتصر رغم هذا . ان أنت تخلصت  
من موظف ، أحلت غيره مكانه . ولو كان الأمر  
هو محاربة الفساد لكان شيئا آخر ، ولكنك  
تحارين الطبيعة البشرية .

**فلورنس** : لست أومن بهذا ولكنى أعتقد بوجود من يعمل  
من أجل العمل .

**پلمرستون** : هذا صحيح ، ولكنه ليس فى «هوايت هول»  
حيث دور الحكومة ، ولكن استمرى فى تفكيرك  
إذا كان فى هذا راحتك .

**فلورنس** : أعتقد أنك تحاولا قصدا تشييط همى .

**پلمرستون** : ربما أردت أن أجذبك مغبة القشل .

**فلورنس** : أوه ، انى أضحى بكل شىء من أجل عودة سدنى،  
لأنه لم يكن يخشى القشل ، ولكنه كان يتقاسمه .

- سذرلاند** : الجميع هنا يا مس نيتنجيل . معذرة لأنى لم أتنبه لوجود اللورد .
- فلورنس** : لقد تكرم اللورد بلمرستون بالحضور ليستمع الى آرائنا فى المسائل التى سبق لمستر هربرت مباشرتها .
- بلمرستون** : لأن هذا موكول الى الوزير المسئول .
- فلورنس** : ولكنك تجعلها موضع النظر من جانبه ؟
- بلمرستون** : ما دامت موضع الرضا ، ولكنى لن أضغط عليه .
- فلورنس** : لو صح أملنا فى عودة لورد هربرت الى العمل بعد سنة او ما يقرب من سنة ، فأظن ان الأخرى بنا أن تؤجل اصلاحات وزارة الحرية حتى ..
- سذرلاند** : نعم ، ولكن كيف تنتظر من اللورد هربرت ، حتى فى حالة شفائه التام ، أن يعود الى الحياة العامة ؟
- بلمرستون** : يتوقف هذا على «ليدى هربرت» .
- فلورنس** : اليزابث متعبة .
- سذرلاند** : حسنا ، وفى الوقت نفسه ، ألا نستفيد من

صداقة اللورد بلمرستون ، وهو هنا ، فنجعله

يلم بمشروع تعديل النظم ؟

فلورنس : ونكون على الأقل قد قمنا ببعض الشيء حتى

ولو رأينا ترك المسائل الكبيرة دون اتخاذ قرار  
نهائى فيها .. مؤقتا .

( يفتح الباب ، وبغلة ، تدخل اليزابيث  
هربرت ببطء ، وعليها آثار السفر ، وقد  
دل وجهها على التعب كما علت به صفرة ،  
وكانت ترتدى ثيابا سوداء ) .

فلورنس : اليزابيث ! لقد كنت بألمانيا .

اليزابيث : لقد عدنا يا فلورنس ، وكان من واجبي أن آتى

إليك — لقد مات سدنى .. أنا .. لا أكاد  
أصدق هذا !!

فلورنس : ( تحتضنها بين ذراعيها ) : عزيزتى .. عزيزتى ..

اليزابيث : لقد ذكرك .. فى آخر كلمات قالها .. ونم

يذكرنى .. ذكرك أنت وذكر عملك الذى لم يتم  
( فترة سكون قصيرة )

فلورنس : ( بحنان ) لقد كان رائدنا ورئيسنا العزيز ، لقد

أدركنا الآن خسارتنا الفادحة .. لن فراه تافية  
أبدا .

( تنزل الستار )

## الفصل الرابع

### المنظر الأول

حجرة بالمنزل رقم ١٠ بشوارع « سوٲ ستريت » فى « پارك لين » فى صيف عام ١٨٨٦  
مضت خمس وعشرون سنة كاملة على موت « سدنى هربرت »  
ولكن نشاط فلورنس نيتنجيل الذى لا يجد الوهن اليه سبيلا ،  
كان لا يزال موجودا ولم يصبه كلل - ولقد توالى تنظيمات كثيرة  
اختبارية ودعمت سياستها الخاصة بالمستشفيات \*  
وحتى مشروع اعادة بناء الشكنات ، وكان قد اغفل لحاجته  
الى من يقف الى جانبه وقت أن مات سدنى هربرت ، عاد فأينع  
وأثمر عندما صرفت عليه الحكومة أربعة ملايين من الجنيهات  
لتنفيذه .

وبذلك توجت أعمال العمر بالنجاح - ولنا أن نقول انها  
قد تمت ولم يبق الآن الا أن تؤمن ويعمل على ابقائها .  
وترى فلورنس فى فراشها ، وهو فى حجرة ذات طلاء أبيض  
نمقته رسوم بارزة ، وبها منضدة عريضة وعليها أدوات للكتابة  
فى متناول يدها . وتقف ممرضة شابة جميلة أنيقة فى انتظار  
الأوامر ، بينما تقرأ فلورنس فى قصاصة صغيرة من الورق فى  
شىء من التردد .

**فلورنس :** ( أخيرا ) : ولماذا أحميد عن القاعدة من أجله ؟  
لا ، لن يكون بغير موعد .

**المرضة** : انه مستر جلاستون بنفسه يا مس نيتنجيل  
انه ينتظر في الخارج .

**فلورنس** : لن أقابله بغير موعد سابق ، قد يقابله الدكتور  
سذرلاندا - فيما بعد .

**المرضة** : هـ . هل نخبره ؟

**فلورنس** : في الواقع انه رجل موهوب - ولكنى لا أظن  
أحدًا حتى من حزبه يعترف له ببعده النظر .

**المرضة** : لا يا مس نيتنجيل .

**فلورنس** : مس نيتنجيل لا تقابل أحدًا على غير موعد ،

وقد اتخذتها قاعدة ولن تتخلى عنها والا  
استحال عليها أن تعمل ، وهي تجد وجودها في  
عملها .

هل تفهمين ؟ هذا ما يجب أن يقال له مع ابداء  
أسف مس نيتنجيل العميق .

**المرضة** : نعم يا مس نيتنجيل .

**فلورنس** : لاحظي أن تبلغيه الكلمات بنصها .

**المرضة** : نعم يا مس نيتنجيل .

**فلورنس** : (بحنان) واني أعتب عليك لأنك تضعين الامور

أمام نفسك بالقلق من أجل عملك ، وليس هذا  
مما يصل بك الى نتائج . ومهما كان ثبل العمل

الذي تأخذين على نفسك القيام به ، سواء كان ادارة مستشفى أو تبليغ رسالة ، فلا تجعلى نظرتك الى العمل تتغلب عليك ، بل كونى أنت المتغلبة عليها .

**المرضة :** لست أخشى العمل أبدا يا مس نيتجيل ..  
حقيقة .

**فلورنس :** لم أقل يا عزيزتى انك لا تشتغلين ، ولكنى أقول انك تجعلين الأمور تقلق بالك ، وأراك الآن تهاين الذهاب الى مستر جلدستون لتبليغه رسالتى ، فلماذا ؟ وأنت انما تبليغين قولى .

**المرضة :** انه رجل ذو منزلة رفيعة .

**فلورنس :** حسنا ، ولكنك ان أردت القيام بعمل ، فلا بد أن تعتادى مواجهة عظماء الرجال ، وعجائب المشكلات وعظائم الأمور ، واذا عزمت على أداء أمر ترينه الصواب فلا تخشى شيئا مهما بلغ شأنه . هل تظنين أفى كنت أتغلب على كل الادارة الطيبة بالجيش بعظماء رجالها ، ومن ورائهم نصف مجلس الوزراء يؤيدونهم ، ويتكاثفون جميعا لمجرد اعتقادهم أن سيده

تأمرهم لو أننى قبلت صاغرة ورضخت لما  
يصدرونه من نفايات .

لقد كانوا جميعا من عظماء الرجال ، وكان من  
يعرفون بالخبراء يؤمنون كل الايمان بأنهم فى  
جانب الصواب ، مع أنهم لم يكونوا كذلك ،  
ولقد ألزمتهم الواحد بعد الآخر الحجة، واتصرت  
فيما أسعى اليه وأجاهد من أجله ، - وهذا فى  
ميسور كل السيدات ، وما أنت الا واحدة منهن

**المرضة** : سأحاول ، سأحاول يا مس نيتجيل .

**فلورنس** : جميل ! والآن اذهبى الى مستر جلادستون  
وخفى عنه ما لحق به من أسى .

**المرضة** : نعم يا مس نيتجيل .

( تخرج الممرضة وتستمر فلورنس فى  
الكتابة ، ويطل سندرلاند فى الحال من  
الباب برأسه الأشيب الذى أتت عليه  
قلبات الأيام وهو رجل قد جاوز الثمانين )

**سندرلاند** : هل يسمح لى بالدخول ؟

**فلورنس** : ان لم تكن تخشى ان ترى سيدة شمطاء غير  
أنيقة وهى فى فراشها .

**سندرلاند** : لم يحن الوقت لهذا بعد ، ماذا حدث ؟

**فلورنس** : لا أقدر ان أضيع سدى ما زلت أشعر به من

نشاط عصبي ضئيل ، وأبذل جهدا لا ضرورة  
للبذله في التأثق .

**سنرلانند** : نشاط عصبي ضئيل ، هذا كلام لا وزن له  
عندي ، وانى ليكفينى ربع ما عندك من نشاط ،  
فأنت لا ينقصك غير القوة الجسدية ، (متوددا)  
ألا تتعلمين أن تهيبى لنفسك فرصة للراحة  
يوما ما انى الأعجب دائما كيف لا زلت تعيشين .

**فلورنس** : كفى هذا التأييب يا دكتور ، ويجب أن تغنى  
فرحا ، أتدرك ماذا يكون هذا اليوم ؟

**سنرلانند** : انه يوم الاثنين .

**فلورنس** : انه الثانى من شهر أغسطس ، وهو يوم ذكرى  
وفاة « سدنى » الخامسة والعشرين .

**سنرلانند** : لست أجد فى هذا ما يبرر الغناء فرحا .

**فلورنس** : ولكن أليس هذا شيئا تغنى من أجله ، وقد  
ثأيرنا وثأيرنا ولم نستسلم للهزيمة ولم نخسر  
عزائمننا ، حتى أفضرنا عمله وكسبنا معركته فى  
النهاية ؟

أتدري من الذى سيأتى لزيارتى اليوم ؟

**سنرلانند** : نعم ، انه مستر جلاستون ، ولقد رأيتنه ساعة  
دخولى .

فلورنس : لا ، لن أقابله ( ثم قالت بخنان زائد ) انها اليزابيت هربرت ، وهذه أول مرة تأتي فيها منذ وفاة سدنى .

سدنلاند : ( فى دهشة ) ولماذا لا تقابلينه ؟

فلورنس : مستر جلادستون ؟ لا ، وبخاصة فى هذا اليوم دون الأيام جميعا ، وهو شريكى فى القتل ، لقد أجهزنا على سدنى معا .

سدنلاند : ( فى قلق ) أما آن الوقت لتسى هذا التفكير السقيم عن سدنى ؟ لقد مات الرجل بذات الرئة ، ولقد تعبت من تكرارى لك بأنه لا شأن لك بوفاة إلا بمقدار شأنك فى مقتل يوليوس قيصر .  
( بعد فترة سكون )

وماذا أنت قائلة لليدى هربرت ؟

فلورنس : لا أدرى ، لقد كنا نراسل بعضنا مرة واحدة كل عام فى مثل هذا اليوم منذ وفاته ، ولكننا لم نتقابل أبدا .

سدنلاند : اذن ستقضيان أمسية ممتعة ، وأظن أنه ليس من المستحسن أن أخبرك الآن . .

فلورنس : وما هذا الذى تريد أن تقوله ؟ هلم واخبرنى عنه ، ما هو ؟

**سنرلاند** : لقد استقلت من وظيفتي الحكومية .

**فلورنس** : ( فترة سكون ) : أظن أننا أسرعنا بالفرحة والابتهاج بعملنا ، ولذلك ستهجرنا وتترك العمل فلا يتم .

**سنرلاند** : (بهذوء) وماذا يعود على من كسب ان أنا قتلت نفسي وأنا قائم بالعمل ؟ ألا تدرين أنى قد جاوزت الثمانين ؟ وأرى أن الأفضل لك أن تستعيني برجل أصغر سنا ، وأظن أن هذا يتفق وما تريدن .

**فلورنس** : وهل حرمانى من الشخص الوحيد الذى أعتز برأيه ، يتفق وما أريد ؟ ولماذا لم تأت وتسألنى ؟ هذا هو أبشع ما نلاقه من مشاركة الناس فى الأعمال ، لأنهم يجعلون أنفسهم ولا غنى عنهم ، ثم تراهم يتركونك أو يموتون .

**سنرلاند** : هذا لأنهم يجدون من واجبهم اختيار الطريق الأول كى يتحاشوا الطريق الثانى .

هذا ولم يعد عملى كما كان ، وانه ليوم محزن ذلك الذى أترك فيه ، ألم أكرس كل أوقات فراغى وكل الأوقات التى كان من الواجب ان

أقضيها مع زوجتي العزيزة لمعاوتتك رغم أنها  
معاونة متواضعة ؟ ذلك لأنني تذكرت ذلك اليوم  
الذي مات فيه هذا الشاب التمس ، وكيف  
حزنت فيه لحزنك ، وتذكرت كيف كنت عظيمة  
في تحملك لهذا المصاب .

وليس هناك في هذه الدنيا من شيء مؤكد الا  
ساعة الفراق ، وها هي ذى ساعة سذرلاند قد  
حالت الآن .

**فلورنس** : سذرلاند ! سذرلاند ! وماذا أنا فاعلة بدونك ؟  
وهل لا تأتي لتراني ؟

**سذرلاند** : نعم سأتى ، وما دامت لدى القوة فاني سأقوم  
قدر طاقتي برسائلك الخاصة وباعداد التقارير  
ولكن بينى وبين مسؤوليات الوظيفة العامة  
فراق .

( الممرضة بالبواب )

**الممرضة** : لقد وصلت ليدي هربرت .

**فلورنس** : دعيتها تدخل بمجرد خروج الدكتور سذرلاند ،  
وماذا حددت للمقابلات من مواعيد في هذا  
المساء ؟

**المرضة :** يلي مقابلة ليدي هربرت ، موعد مقابلة جمعية الصليب الأحمر الأمريكية وهي في الرابعة والنصف ، ويلى هذا ، موعد مقابلة وزير الهند وهو في الساعة الخامسة ، ثم موعد مقابلة قدامى محاربي القرم في الخامسة والنصف . وقد تركت الساعة السادسة بغير موعد كما قلت لتكون للدكتور سذرلاند اذا ما رغب في مقابلتك .

**فلورنس :** نعم ، ولتحضر ليدي هربرت الآن .  
( تخرج الممرضة وقد أخذت كتابا )

وأنت أيها الصديق القديم ، هل تسمح بالعودة الى هنا لنعاود المناقشة في الساعة السادسة ؟  
**سذرلاند :** سأعود في السادسة أو في منتصف الليل ، أو في أى وقت ترتاح اليه أعز صديقة لى في الوجود .

( تقف خادمة بالباب وتقول : ليدي هربرت أقالى ، سذرلاند يصافح فلورنس وقت خروجه ، ويحيى اليزابث بايماءة عندما رآها تدخل ) .

( ولقد أضنت السنون الخمس والعشرون اليزابث وغيرها وهي الآن كاثوليكية وشديدة التحمس لمذهبها الجديد )

**اليزابيث** : أهلا فلورنس ، لست أدرى لماذا أتيت ..

لم يكن في نيتي الحضور .

**فلورنس** : ( برقة ) ولم لا يا اليزابث ؟

**اليزابيث** : الأفضل أن ندفن الماضي نهائيا ، ولست أريد

أن أتذكر .

**فلورنس** : وأنا لا أريد أن أنسى يا اليزابث .. الا يسرك

أن تسمعي أن عمل « سدني » قد تم أخيرا ؟

**اليزابيث** : أقولها صراحة ان هذا لا يسرتني في قليل

أو كثير ، ولقد قمت بما وسعني القيام به

عندما كان « سدني » حيا ، وذلك لأعوانه ،

ولقد قمت به لأنني أحبته ، ولم يكن لأنني

أحببت العمل الذي يقوم به ، ولو أنه كان

مزارعا نفلحت الأرض معه وأنا مسرورة

وفخورة .. ولكني ما كنت بعد موته لأقترب

من المزرعة مرة أخرى ، وما كنت الا كارهة

لهذا المكان ، وبخاصة اذا كان هو المتسبب

في قتله .

**فلورنس** : وهل أفهم من هذا انك تكرهينني يا اليزابث ؟

**اليزابيث** : لست أنت بمكان يا فلورنس ، وديننا ينهي عن

كرهية الناس ، ولكنه يعلمنا أن نصلى من أجلهم ، وأظن انى قد عودت نفسى أن تنسى سدنى ، وأعنى نسيانها لألم الفراق . وبوسع المرء أن يأتى بجلائل الأعمال ان هو ركز ذهنه فى التأملات الدينية ، ولكنى لم أنس ولن أنسى .

**فلورنس** : ( برقة ) أما كان أسهل عليك ألاّ تعملى للنسيان وتذكرى كم كنت تسعدين لو أنك شاركتنا فى انجاز عمله ؟

**اليزابيث** : ليس لك من اجابة على أى شىء الاّ بكلمة العمل .

**فلورنس** : وليس لك الاّ التأملات ، ولكن التأملات تظل ساكنة ، وأما العمل فيسير بك الى أن تسعدى وأنت ترين النصر النهائى لمن مات . وان أنت بلغت هذا النصر ، حقّ لك أن تغنى مثلى وتقولى :

« فلنرحلن الآن » .

**اليزابيث** : نعم ، ولا تنسى مع هذا أن المولى هو الذى

يختار الوقت الذي يجعل فيه عبيده يرحلون  
في سلام .

فلورنس : وهل تعنين أن المرء قد يمتد به العمر فلا هو  
بقادر على العمل ولا هو بملاق الموت ؟ وان هذا  
قد يكون عقابي ؟

اليزابيث : نعم يا فلورنس .. قد يكون هذا .. ولعلها ..  
النار هي التي تطهرنا من ذنوبنا ، والتي لا بد  
أن نصطليها جميعا .

( تدخل الخادمة وهي تحمل صنية ،  
وتضعها على منضدة )

فلورنس : هل لك في شيء من الشاي يا اليزابيث ؟  
اليزابيث : شكرا .

( تنزل الستار )

## المنظر الثالث

حجرة استقبال بالمنزل رقم ١٠ في « سوٲ سٲرٲٲ » في ربيع ١٩٠٧/١٩٠٨ ووقفت احدى المرصاٲ ٲلازٲ ، بٲنما كان رزلان ٲقومان بعمل العداٲ لزفل قء اقٲرب موعءه ، ونصٲٲ بعض المقاعد المذهبٲ لعدد قليل من المءعوبٲن ، وٲرى رزل ٲالك وهو ٲطل برأسه من الباب .

**الصزفى** : وهل هذا هو المكان الذى سٲقٲمونه فٲه ؟

**المعرضٲ** : ماذا ؟

**الصزفى** : هل هذا هو المكان الذى سٲقٲمونه فٲه ؟

**المرضٲٲ** : من أنت ؟

**الصزفى** : ( ٲرٲها بٲاقته ) صزافة ، : هل ٲسمزن باعٲائٲ

فكرة عن العرض من اقامة هذا الزفل ؟

**المرضٲٲ** : انه زفل رسمٲ للٲكربم بٲبٲعة الزال .

**الصزفى** : زفل رسمٲ ؟ ٲقء كانت « مس نٲٲزل »

مرضٲٲ ، ألم ٲكن كذلز ؟

**المعرضٲ** : نعم .

**الصزفى** : ومن سٲكون هنا الزوم ؟ هل سٲزضر اءء من

ءوبى المكائٲ ؟

المرضة : نعم ، سيحضره الوزير ، واللورد عمدة لندن ،  
وواحد من قصر بكنجهام ..

الصحفى : ( يكتب مذكرات ) : نعم ؟ أتعرفين من هو ؟

المرضة : كبير الياوران .

الصحفى : نعم ، ومن غيره ؟

المرضة : أصدقاء مس نيتنجيل وأقاربها ، وبعض قدامى  
المحاربين بالقرم .

الصحفى : والآن ، ما هذا التكريم الملكى بالضبط ؟

المرضة : انه وسام الاستحقاق .

الصحفى : ولماذا يمنحونه لها ؟

( تنظر اليه الممرضة بامتعاض )

نعم ، أنا أعرف .. القرم ، وانى آسف لما ظهر

من جهلى ، فليس لدى متسع من الوقت لقراءة  
التاريخ فى عملى هذا كما تعلمين .

وهل منحت أنت مدالية ؟ وفى أى مناسبة ؟

المرضة : فى حرب البوير .

الصحفى : أقولها صادقاً انى ما كنت أظن أن النساء يمنحن

مداليات ، ولعلمهن يرتدين الحسلة الكاكي  
فيما بعد .

( يدخل الحجرة رجل وقور طويل )

**المرضة :** نعم ، من السيد اذا تكرم ؟

**مندوب التيمز:** أنا مندوب صحيفة التيمز .

**المرضة :** أوه ، هذا السيد أحد زملائك في المهنة !

**مندوب التيمز:** هل أنت صحفى ؟

**الصحفى :** نعم يا صديقى ..

**مندوب التيمز:** ( يحييه باحترام ) هل لى أن أسأل أى صحيفة

تمثل ؟

**الصحفى :** أنا وحقيقة الأمر مندوب احدى وكالات أبناء

السباق وقد عهد الىّ بهذا العمل الآن ، ورجائى

أن تعاوننى يا صديقى اذ لا علم لى بشىء من

هذا القبيل .

**مندوب التيمز:** يحسن بك أن تجلس معى وسأدلك على كل

واحد ومن يكون .. ( يخاطب الممرضة ) :

أتعرفين من القائم بعمل الترتيبات ؟

**المرضة :** ( تشير الى رجل قرب الباب ، يدل مظهره على

أنه ذو مكانة رفيعة ) : هو منظم الحفلات ،

أليس كذلك ؟

**مندوب التيمز:** منظم الحفلات ؟ بالله عليك لا تجعله يسمعك

وأنت تسمينه هكذا !! انه أحد أمناء التشرنقات

بالسرائى ( ويتجه اليه ) : معذرة !

امين التشريفات : آسف اذ ليس لدى وقت للمحديث ، وها هو ذا  
الوزير قد أقبل .. واذا كنت تريد مقاعد  
الصحفيين فهي في ذلك الركن .

( يدخل أحد رجال الجيش ، وهو وسيم  
الطلعة وفي زيه الرسمي )

هذا كبير الياوران بالسراى .

**كبير الياوران :** هل أصبح كل شيء معداً ؟

امين التشريفات : تقريبا ، وانى أقدم لكم السيد الوزير .

**الوزير :** تشرقنا ؟ تشرقنا ؟

وما برنامج الحفل ؟

امين التشريفات : فلنتنظر دقيقة حتى يحضر اللورد عمدة لندن ..

( يدخل ويقوم بتحية الوزير ثم يدلونه الى  
بأسماء ذوى المكانة عند دخولهم ) .

رئيس جمعية الصليب الأحمر الأمريكى .

( يدخل ويقوم بتحية الوزير ثم يدلونه الى  
مقعده )

ليدى هزبرت أف لى .

( تدخل اليزابث هزبرت ، وقد جاوزت  
الآن سن الثمانين ، ولكنها ما زالت متمتعة  
بصفاء الذهن ونشاطه ، وقد أصبحت  
راهبة ، وكانت ترتدى ثيابا سوداء ، وعلى  
وجهها ظهرت تجاعيد غائرة ، ويسرع

الوزير للترحيب بها ، ثم يأخذ بها الى مقعد كبير قرب المنضدة ، ويقف الجميع لها وقت مرورها بالحجرة )

**الوزير** : ( موجهها الحديث الى الزبايث بعد جلوسها ) أرجو أن يكون المقعد مريحا .

**الزبايث** : مريح جدا ، وشكرا ، أين هي ؟

**الوزير** : لم تنزل بعد ، وأنت تعرفين يا ليدي هيريت أنها ليست قوية جدا الآن .

**الزبايث** : قوية ؟ ما كان لسيدة ضعيفة أن تعيش طويلا مثلها وتكون بعافية — لقد كانت قوية جدا حتى ان « سدنى » المسكين لم يقو على مجاراتها .

**امين التشريرات** : ( بالباب ) : صاحب المقام الرفيع اللورد عمدة لندن .

**الوزير** : أرجو المذرة .

( ويسير لمقابلة العمدة - ويتبادل المسئولون التحيات )

وهل أصبح كل شيء معدا ؟

**امين التشريرات** : نعم ، بعد لحظة ، وسيكون برنامج الحفل بالترتيب الآتى :

كلمة الوزير أولا ، وتليها كلمة رئيس الصليب

الأحمر الأمريكي ، ثم كلمة اللورد عمدة لندن .. ولا حديث لغير هؤلاء ، مع مراعاة الايجاز ، لأن صحة مس تينجيل لا تشمل الاطالة .

ثم يقدم كبير الياوران « الوسام » نيابة عن صاحب الجلالة ويتقدم بعد ذلك مديرو الأمن ومعهم « سجل الأحرار » الى مس تينجيل لتوقع عليه ، وبذا ينتهي كل شيء ، فهل ينال هذا منكم الرضا ??

**اللورد العمدة :** نعم ، نعم ، يكفي هذا .

**الوزير :** ان مندوب الجيش الألماني يود تقديم شيء باسم الحكومة الألمانية

**أمين التشریفات :** يمكن أن يكون هذا بعد توقيع « سجل الأحرار » .

**الوزير :** حسنا جدا .

**اللورد العمدة :** ألا يحسن أن نبدأ اذن ؟

لأنني على موعد بالقصر في الخامسة والنصف ، وعلى موعد لعشاء رسمي بعد ذلك .

وأين مذكراتي ؟

( تسلم اليه فيتناولها بعصبية ) ويقول :

ذلك المكان ، اسكوتارى ، أظنه يسمى  
اسكوتارى ، وهل هو حيث كانت توجد  
المستشفيات ؟

امين التشرىفات : لست أدري ، وأخشى ألا يكون هو الاسم ،  
وهل تسمح باتخاذ مكانك الآن يا لورد ؟  
**اللورد العمدة** : نعم ، بكل تأكيد .

(ويبدأ الرسيون فى التحرك نحو أماكنهم ،  
ويقل سماع أصوات الأحاديث بالحجرة ) .

امين التشرىفات : ( من باب صغير ) : مس فلورنس نيتجيل !!  
( ويقف الجميع )

ويُدفع الى داخل الحجرة بكرسى كبير  
ذى عجلات ، وقد جلست عليه سيده فى السابعة  
والثمانين — انها فلورنس ، وهى ذات وجنات  
شبيهة بالتفاح ، وكان يبدو عليها وهى فى عمرها  
المديد مظاهر العظمة والوقار ، كما كانت  
حياتها سجلا زاخرا بالأساطير ، ولقد ساروا  
بكرسيها الى المكان المخصص لها ، وكانت  
تعبر عن تقديرها لهذا الاستقبال بإيماءات  
صغيرة وهى باسمه .

امين التشرىفات : الوزير !!

: لقد اجتمعنا اليوم لشهد الاعتراف بالخدمات التي قدمت لهذا الوطن وللانسانية بوجه عام ، تلك الخدمات التي بدأت عندما كان آباؤنا في شرح الشباب ، والتي استمرت الى يومنا هذا ولم تنقطع .

وهذه السيدة ذات المكانة الرفيعة ، والتي اجتمعنا لتكريمها ، تعتبر بحق مؤسسة التمريض الحديث وصاحبة اليد الطولى في كل ما يقوم بالمستشفيات من أعمال مجيدة ، تعود على المرضى من ينى الانسان بالنفع الذى هو دائما في ازدياد ، وليس هذا في بلادنا فحسب ، ولكنه في البلاد المتحضرة جمعاء ، وما كل هذا الا من ثمار مجهوداتها .

ولم تقتصر شهرتها على ما قامت به في المستشفيات من اصلاح . ففي الأيام الحالكة في حرب القرم .

( تصفيق )

وكادت الجراح والأمراض تصيب الجيش البريطانى بالكوارث ، كانت هذه البظلة المتفانية في الاخلاص تتحرك بين الجنود وكأنها ملاك .

وقد عبّر الشاعر « لنج فلو » عن ذلك بقوله :  
« انظر ، ففي تلك الدار المليئة بالشقاء ، أرى  
سيدة ويدها مصباح ، كما أرى شاكي الآلام  
وقد عجز عن الكلام ، يلتفت بتؤدة وكأنه في  
حلم هنئ لئلثم خيالها وقد ظهر على الجدران  
القائمة » .

ان ما قامت به « مس نيتنجيل » من الخدمات  
نحو الانسانية ليس في الامكان حصره وتقدير  
مداه ، وهى بمجهوداتها التى لا تكل قد أيقظت  
عطف الناس نحو البؤساء ، ذلك العطف الذى  
فيه رضا المولى والذى لن يُسمح له بالعفاء .  
ولقد كان من بواعث سرور صاحب الجلالة أن  
أمر بضرورة التقدير العظيم لتلك المجهودات .  
وان « سجل وسام الاستحقاق » الذى خُصّت  
به مس نيتنجيل دون غيرها من السيدات ،  
ليحوى عددا أكبر من أسماء العظماء الذين  
قاموا بخدمات للوطن ، غير انه لم يكن بين  
هؤلاء جميعا عضو هو أحق منها بمثل هذا  
التكريم كهذا العضو الذى لنا شرف الاجتماع  
اليوم لنشهد اضافة اسمه فى سجل العاملين .

( يدور الحديث ثانية بين الضيوف عندما  
يبتعد الوزير )

أمين التشریفات : « رئیس جمعية الصليب الأحمر الأمريكية » .

الرئيس : سيداتي سادتي ، انه ليس لمدوب بلد غير

بلادكم أن يتناول بالحديث أمورا هي من أهم ما  
يعنيكم دون غيركم الا أن « مس نيتنجيل »  
ليست لكم وحدكم ولكنها للعالم أجمع ، فهي من  
بريطانيا العظمى ولكنها ليست لبريطانيا العظمى  
وحدها هي ملك للدنيا ، والدنيا تزهو وتسيه  
اعجابا بابتها الطاهرة النقية .

ان فلورنس نيتنجيل ، وهي رائدة الشفاء من  
العلل والأسقام ، اذا ذكر اسمها بالولايات  
المتحدة الأمريكية صادف عطفًا خاصا وكان  
موضع الاحترام المقرون بالحب .

ونحن لا نقيم لها ثوبا من الحجارة ،  
ولا نمنحها وساما ، لأن هذه الأشياء ليست في  
بلادنا ، ولكن أمريكا أسست ألف مدرسة  
للتمريض باسمها ، وهذه هي النصب التذكارية  
التي نقيمها ، والتي سوف تزداد دائما وتلك  
هي المداليات التي تهديها الولايات المتحدة لها .  
( تصفيق ، ويجلس بجانب الوزير )

امين التبريات : « صاحب المقام الرفيع اللورد عمدة لندن » .  
**اللورد العمدة :** ( وقد أغفل مذكراته ) : كنت قد أزمعت أن  
أبدي بعض ملاحظات عن .. اسكوتارى ،  
حيث .. كانت توجد المستشفيات ، وكذا عن  
حرب القرم . ولكنى أشعر أن لا ضرورة لهذا ،  
لأننا نعلم جميعا ما قامت به مس نيتجيل من  
جلائل الأعمال ، وهى أعمال جلية ، وجلية  
جدا .

وأنا .. أذكر أنى قرأت أنها كانت على  
وشك أن تفقد حياتها أثناء ترميضا للجرحى ،  
وأن الأهوال كانت تحيط بها ، وهذا يدفعنى  
وقد اختصونى بهذا الشئ العظيم الى القول بأن  
« مجلس مدينة لندن العام » قرر وضع اسم هذه  
السيدة الرفيعة الشأن فى سجل أحرار مدينة  
لندن » .

ونحن نبتهل اليها أن تتقبل منا ذلك .

( ويعود الى مقعده )

**كبير الياوران :** ( يتقدم ) : لقد أمرنى صاحب الجلالة الملك  
أن أسلمك يا مس نيتجيل « وسام  
الاستحقاق » وهو منحة يعبر بها جلالة عن

سروره العظیم وتقديره لخدماتك الغالية نحو  
وطنك ونحو الانسانية جمعاء .

( يقترب ويضع المدالية في يدها ثم يعود  
الى مكانه )

فلورنس : ( تومىء برأسها وهى باسمة ) : كرم كبير ،  
كرم كبير .

( وتخطب مرضتها ) : ما هذا يا عزيزتى ؟  
( وفى غير وضوح ) : يجب أن يشكروا .

المرضة : انه من الملك يا حبيبتى ، ضعيه فوق كتفيك .

فلورنس : ( تسمح بإدخال الشريط من فوق رأسها )  
انه لعطف كبير حقا !

( تصفيق من المجتمعين )

وتقول للممرضة : لماذا يفعلون ذلك ؟

المرضة : انها القرم يا حبيبتى .

فلورنس : نعم ، نعم ( وبصوت أعلى ) كل ما يمكن أن

أقوله عن القرم ان الجنود كانوا شجعانا حقا .

صوت أحش من أحد قدامى المحاربين بالقرم :

« وكم كنت شجاعة أنت أيضا يا « مس » !!

فلورنس : من هذا ؟

المرضة : أحد قدامى المحاربين فى القرم .

فلورنس : جنودى الشجعان ، لن أنسى بشاشتهم نحو بعضهم ، ولا رقتهم نحوى ، أكرمهم الله .  
تميل برأسها ضعفا لأنها بذلت جهدا غير منتظر بهذا الكلام القليل )

المرضة : ( تهمس لأمين التشرiftات فى لهفة ) : هلم ، هلم !!

( يقترب الأمين ومعه « سجل الأحرار » )

فلورنس : ( توقظ نفسها ) : ما هذا ؟

المرضة : انه السجل لتوقعى عليه .

( وتخطب الأمين الذى يمسك به ) : أعطنى

القلم ، انها لا ترى .

فلورنس : ولماذا أوقع على هذا ؟

المرضة : انه شرف توقيع اسمك فى سجل أحرار مدينة لندن .

فلورنس : منتهى العطف !!

( وبمعاونة الممرضة ، توقع بمشقة على القائمة بأوائل الحروف )

أخبروا الدكتور سذرلاند .

( يقسح الأمين لأحد رجال السلك السياسى الألمانى ) .

( يقدم باقة عظيمة من الزهور )

**رجل السلك**  
السياسي : يرجو سيدي الامبراطور من « مس نيتنجيل »  
أن تقبل هذه الأزهار وقد انتقاها بنفسه  
بالقرب من منزلها القديم .

**فلورنس** : ( آليا ) : غاية العطف ، غاية العطف !

( ويبدى الأمين اشارة فيمر العظماء ،  
الواحد بعد الآخر ثم ينحنون أمامها  
ويخرجون ) .  
( وتأتي اليزابث في آخرهم ، وتصبح هي  
وفلورنس مرة أخرى وجها لوجه )

**المرضة** : أظن لا شيء بعد هذا ؟

أمين التشریفات : لا ، هذا كل شيء .

**الوزير** : هل تذكرين يا مس نيتنجيل صديقتك القديمة  
ليدي هربرت ؟

**فلورنس** : ماذا يقول ??

**المرضة** : ليدي هربرت ، انظري يا حبيبتي ، انها « ليدي  
هربرت » .

**فلورنس** : لقد كانت جميلة ، ومسلكتها جميلا ، وكنا  
أصدقاء الى أن مات .. ولكني فقدتها .

**اليزابيث** : فلورنس .. ألا تعرفينني ??

**فلورنس** : كم هو محزن أن يفقد الانسان الأصدقاء ،  
وأصدقائي لا يأتون أبدا الآن .

وهل أرسلت في طلب الدكتور سذرلاند ؟؟  
( وتسلمها العلبة ) : يجب أن تعطيا له وتطلبني  
منه اعداد الرد .

**المرضة** : ( همسا ) : أنت تعلمين أنه قد مضى خمس  
عشرة سنة على وفاته .

**الوزير** : يبدو أنها لا تذكرك .

**اليزابيث** : سأذهب ( وبينما أخذت تسيير ، التفتت وعادت  
لتقبل يد معاصرتها العظيمة ) .

**فلورنس** : من فعل هذا ؟ انها كانت اليزابث ، أنا أعلم  
أنها كانت اليزابث ، لقد فارقتني منذ زمن  
طويل ، لو كان لي أن أرى بعيني .

**اليزابيث** : فلورنس !

**فلورنس** : انه صوتها أيضا .

**اليزابيث** : فلورنس ، هل يعترف كل منا للآخر ؟

**فلورنس** : كما نعتز لمن كان آثما في حقنا .

( تضطجع متهالكة الى الخلف في مقعدها ،  
وتعمن الممرضة النظر في وجهها )

**المرضة** : ( تخاطب اليزابث بحزم ) : سيدتي ، يجب أن  
تذهبي .

(وتخاطب الوزير) : لا يا سيسى ، لا تخاطبها

ثانية ، ولن أتحمل المسئولية .

( وتخرج اليزابيث بيضاء وقد أمسكت بذراع

الوزير ، ولم يكن قد زال ما نجم عن العراك

من أثر ، وتقف المريضة وتكلم مس

نيتنجيل بحنان وهي تقول :

لا بد يا حبيبتى أن نذهب بك الى الفراش

لتنالى قسطا كبيرا من الراحة قبل تناول

العشاء .

هل نطهو لك بيضة للعشاء .

فلورنس : (طائعة) : نعم يا عزيزتى .

المريضة : انك متعبة ولا شك .

فلورنس : لقد كانوا كرماء ، كرماء جدا .

(وبابتهاج) : لا أدري فيم كانوا يتحدثون ..

لا بد لنا أن نسأل الدكتور سذرلاند ..

( وتخرج المريضة بها وهي فى مقعدها ذى

العجلات )

الخاتمة

# روائع المسرح العالمي

صدر منها حتى الآن ٤٣ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ -	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢ -	أعمدة المجتمع	هنريك ايبسن
٣ -	سيرانو دي بيريلاك	ادمون روستان
٤ -	مروحة ليدي وندرمير	أوسكار وايلد
٥ -	ينيلوي	سمرست موم
٦ -	الغريبان	هنرى بك
٧ -	اليكترا	جان جيروود
٨ -	توركاريه	ر . ا . ر . لوساج
٩ -	السداثة	سمرست موم
١٠ -	شاترتون	الفرد ديقيني
١١ -	الأم	كارل تشابك
١٢ -	اللعبة الغادرة	جون جالزوردي
١٣ -	لعبة الحب والمصادفة	ماريغو
١٤ -	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجي بيراندللو
١٥ -	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦ -	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧ -	رجل الله	جايريل مارسل
١٨ -	هيدا جابلر	هنريك ايبسن
١٩ -	سياق المشاعل	بول هارقييه
٢٠ -	كنوك	جول رومان
٢١ -	جنون والطاوس	شيني أوكاسي

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٢٢ -	دون جوان	موليير
٢٣ -	بيت برناردا اليا	فدريكو غرسي
٢٤ -	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥ -	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦ -	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧ -	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨ -	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩ -	أهمية أن يكون الانسان جادا	جيمس بارى
٣٠ -	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١ -	منزل القلوب المحطمة	جورج برنارد شو
٣٢ -	القيثارة الحديدية	جوزيف أوكونور
٣٣ -	أفكار صيبانية	نويل كوارد
٣٤ -	زوجة مستر فانكرى الثانية	آرثر وينج بنبرو
٣٥ -	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ايسن
٣٦ -	لا وقت للفاكاهة	س . ن . بيرمان
٣٧ -	سيجفريد	جان چيروود
٣٨ -	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩ -	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠ -	حورية البحر	هنريك ايسن
٤١ -	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢ -	ايولف الصغير	هنريك ايسن

ملتزم التوزيع فى الداخلى والخارج مؤسسه الخانجى بالقاهرة

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثني ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت